القوة الإنجازية للأقوال في زيارة أمير المؤمنين المخصوصة في يوم الغدير المروية عن الإمام الهادي (عليهما السلام) قراءة تداولية في إثبات أحقّية الإمام عليّ(عليه السلام) في حادثة الغدير التّاريخيّة

م.د سليمة فاضل حبيب الكلابيّ جامعة الكوفة ـ كلية التّربية الأساسيّة

d.saleemaalkalabe@gmail.com

الخُلاصة

لطالما شهِد الخطاب الدينيّ، والتاريخيّ في الإسلام تنوّعًا في التأويلات، واختلافًا في المواقف حول قضايا محورية متعددة، بعضها ما زال إلى اليوم موضع خلاف بين المذاهب والمدارس الفكرية. ولو افترضنا غياب عنصر (التهميش) و(التسييس) في قضية ما في إثبات أحقية جهة ما، فغالبا ما نرى أنّ هذه الخلافات تستند في واقعها إلى اختلافات في فهم النصوص، أو في تأويل دلالاتها، غير أنّ تطوّر الدراسات اللسانيّة الحديثة، ولا سيّما نظرية الأفعال الكلامية الإنجازية، قد أتاح أدوات تحليلية جديدة يمكن من خلالها إعادة قراءة النصوص قراءة تداولية تتجاوز التركيز في المحتوى الظاهري إلى تحليل وظيفة القول، وأثره في الواقع.

ينطلق هذا البحث من فرضية مؤدّاها إنّ النصوص الصادرة عن شخصيات ذات سلطة دينية واجتماعية في التاريخ الإسلامي كشخصية الإمام الهادي (عليه السلام) تحمل قوّة إنجازية في ضوء السياق والمقام وموقع المتكلم بالنسبة للمتلقين، وأنّ تحليل هذه الأفعال قد يسهم في إثبات شرعية بعض القضايا التاريخية الخلافية التي غُفِل فيها عن حقيقة وجود البعد التداولي في القول.

وبالاستناد إلى نص موثق وصحيح كـ (زيارة أمير المؤمنين المخصوصة في ذكرى عيد يوم الغدير، وهي زيارة مروّية بأسناد معتبرة واردة عن الإمام علي الهادي (النقي) (عليه السلام) ، يُحلل هذا البحث عددًا من الأفعال الكلامية ذات الطابع الإنجازي التي وردت فيه، وهي بحسب جغرافيا النص: (أفعال السلام، أفعال الشهادة، أفعال القسم، أفعال اللعن)، والتي سأقرأها على وفق نظرية (أوستن) و(سيرل)؛ سعيًا لإثبات أنّ هذه الأقوال لم تكن مجرد تعبير عن الرأي أو العاطفة، بل بوصفها أفعالا لغوية مُلزِمة وبإمكاننا ملاحظة

ما يمكن أن تُحدثه من أثرٍ واقعيٍ واجتماعيّ عند صدورها من شخصية مخوّلة بذلك كشخصية الإمام الثامن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) في نص موثوق المصادر كنصّ الزيارة هذه .

كما أنّ فرضية البحث تشتمل على تصوّر أنّ النصّ الموثق المستهدف بالدراسة هنا، يحمل شرعية لغوية وإنجازية ربّما غفلت عنها القراءات الفقهية التقليدية ومن ثمّ يمكن أن يُعاد فهم القضية تاريخيًّا اعتمادًا على قوّة تلك الأفعال في النصّ المدروس.

وسأعتمد في هذا البحث المنهج (التداولي التحليلي) من خلال تحليل الأفعال الكلامية الواردة فيه؛ لإثبات أحقيّة الإمام عليّ (عليه السلام)، في حديث يوم الغدير من خلال ما تنجزه التراكيب اللغوية المكونة للكلام من أحكام سياسية ودينية واجتماعية ونفسية واستشرافية مرجعية، وصولا إلى تصور الأثر الإنجازي الذي يحدثه الفعل اللغويّ في الواقع من أثر استدلاليّ مُنجز.

الكلمات المفتاحية: زيارة أمير المؤمنين، الإمام الهادي، القوّة الإنجازية، الفعل الكلاميّ، أوستن، وسيرل.

Abstract

Religious and historical discourse in Islam has long witnessed a diversity of interpretations and differing positions on numerous pivotal issues, some of which remain controversial today among different sects and schools of thought. Even if we assume the absence of marginalization and politicization in a given issue, we often see that these disagreements are based, in reality, on differences in the understanding of texts or in the interpretation of their meanings. However, the development of modern linguistic studies, particularly the theory of performative speech acts, has provided new analytical tools through which texts can be re-read from a pragmatic perspective, moving beyond focusing on their apparent content to analyzing the function of speech and its impact on reality. This research is based on the hypothesis that texts issued by figures with religious and social authority in Islamic history, such as Imam al-Hadi (peace be upon him), possess performative power in light of the context, the situation, and the speaker's position in relation to the audience. An analysis of these actions may contribute to establishing the legitimacy of some controversial historical issues in which the reality of the communicative dimension of speech has been overlooked. Based on a documented and authentic text such as the "Ziyarat of the Commander of

the Faithful, specifically commemorating the Day of Ghadir," a visitation narrated with reliable chains of transmission from Imam Ali al-Hadi (al-Naqi) (peace be upon him), this research analyzes a number of performative speech acts found therein. These acts, according to the geography of the text, are: (verbs of peace, acts of testimony, acts of oath, and acts of cursing). I will read them according to the theory of Austin and Searle, seeking to prove that these statements were not merely expressions of opinion or emotion, but rather as binding linguistic acts. We can observe the realistic and social impact they can have when issued by a person authorized to do so, such as the eighth Imam, Ali ibn Muhammad al-Hadi (peace be upon him), in a text with reliable sources such as this visitation. The research hypothesis also includes the notion that the documented text targeted by the study here carries a linguistic and performative legitimacy that may have been overlooked by traditional jurisprudential readings. Therefore, it is possible to The issue is historically reconsidered based on the strength of these verbs in the studied text. In this research, I will adopt the (analytical pragmatic) approach by analyzing the speech acts contained therein. I will prove the legitimacy of Imam Ali (peace be upon him) in the Hadith of the Day of Ghadir, through the political, religious, social, psychological, and referential judgments that the linguistic structures comprising the speech produce. This will lead me to conceptualize the performative effect that the linguistic act produces in reality, in terms of an accomplished inferential effect.

Keywords: Visitation of the Commander of the Faithful, Imam al-Hadi, performative force, speech act, Austin, and Searle.

المبحث الأوّل: نبذة عن نظرية الأفعال الإنجازية

ظهرت التداولية بوصفها حركة لسانية جديدة جاءت على أعقاب ما كان من قصور في النظريات اللغوية السابقة كالسلوكية، والبنيوية، والتوليدية، التحويلية[1] وغير ذلك من مناهج اللغويين القدامى والمحدثين، وقد تمثّل ذلك القصور في تلك المناهج أو النظريات التي تجاوزت الظروف النفسية، والاجتماعية للمتكلم والمخاطب، بحيث اقتصرت التفسيرات اللسانية بنظرها إلى داخل اللغة؛ مهتمّة بالعناصر اللغوية وحسب؛ حتّى ظهرت الحاجة إلى تفسير ذي مرجعيّة خارجيّة؛ فكان المنهج الوظيفيّ[2]؛ بوصفه اتّجاها ممهّدًا للتداولية؛ لينفتح على ما هو خارج النص مبتعدًا عن انغلاق البنيوية التي اشتملت على داخله على أنّ اللغة نظام ذاتي

ترتبط فيه كل العناصر وظيفيا بعضها ببعض، وتشتق مغزاها كلية من العلاقات الوظيفية بالعناصر الأخرى، بينما تقف التداولية في الاتجاه الآخر على ذلك الترابط الوظيفي بين اللغة وجوانب الحياة الإنسانية الأخرى، وبسبب عدم إدراك المغزى الكامل الذي ينتج عن فهم ذلك الترابط.

فإنّ وظيفة البنيوي تظلّ آلية، وتسمح لجوانب محدّدة من المعنى أن تظهر فقط هامشيّا، بينما تعطيها التداولية دورا مركزيا[٣]، ومن هنا "حيث تتلاقى فيه على وجه معين جملة ميادين من المعرفة المختلفة أهمها: علم اللغة الخالص، والبلاغة، والمنطق، وفلسفة اللغة، وكذلك علم الاجتماع، وغيرها من العلوم المهتمة بالجزء الدلالي من اللغة" [٤].

ويرجع الفضل في ظهور التداولية بوصفها منهجا ونظرية، إلى الفيلسوف الإنكليزي "أوستن" إثر صدور كتابه الموسوم بـ"كيف نصنع الأشياء بالكلمات" ـ والذي أميل إلى تسميته بـ:" كيف ننجز الأشياء بالكلمات" ـ بمسوغ توفر عنصر الاحتفاظ بروح المعنى لكلمة (نصنع) التي لا أرى أنها تخل بالمعنى الإجرائي الأصلي الذي أراده أوستن بهذا التعبير..، فضلا عن تناسب مفهوم (الإنجاز) مع منظومتنا الفكرية الإسلامية أكثر مما يتيحه مفهوم (الصنع) الذي عبّر عنه أوستين في عنوان كتابه..، ولا سيما أنّ التداولية نفسها عند أوست تحددت على أنها "جزء من دراسة علم أعمّ: هي دراسة التعامل اللغوي من حيث هو جزء من التعامل الاجتماعي"[٥]؛ فهو هنا ينتقل من المستوى اللغوي، والنحوي والنفسي للغة، إلى المستوى الاجتماعي ودائرة التأثير والتأثر[٦]، من خلال استعمال اللغة لتحقيق التواصل؛ ما يعزّز ميلنا لاعتماد مفهوم (الإنجاز) بدل (الصنع) في تسمية الكتاب.

وعلى الرغم من أن التداولية (pragmatique) نظرية لسانية جديدة إلا أن جذورها التاريخية اللغوية في الاستعمال تعود إلى كلمة (pragmaticus) اللاتينية، وكلمة (pragmaticos) الإغريقية بمعنى (عمليّ)، كما اقترن بهذا المصطلح في اللغة الفرنسية معنيان أساسيان" محسوس" و"ملائم للحقيقة"، أمّا في اللغة الإنكليزية "فإن كلمة (pragmatic) فتدلّ في الغالب على ما له علاقة بالأعمال الحقيقية، والوقائع الحقيقية"[٧]، وكلّ هذه المفاهيم لهل علاقة بما يقتضيه هذا الحقل[٨]، ولكن في اللغة العربية يجب التفريق في المصطلح بين "التداولية" والذي نقصد به هذا الاتجاه اللغوي الجديد الذي يعنى بقضايا الاستعمال اللغوي، ويقابله المصطلح الفرنسي "pragmatique" والبراغماتية، أو ما يترجم أيضا بـ "الذرائعية"، أو" النفعية" أو غيرهما، بوصفها مذهبا فلسفيا تجريبيا عمليا تجاوز المذهب العقلاني وطوّر الاتجاه التجريبي، لا تقوم على معانٍ عقليّة ثابتة أو تصورات قبليّة ترتبط بالواقع التجريبيّ، كما تحاول أن تفسّر الفكرة ليس بمقتضياتها العقلية أو الحسّية؛ بل بتتبع واقتفاء أثر نتائجها العملية، ويقابلها مصطلح "pragmatism" التي من روادها

وليام جونسون وجون ديوي وشيلر وغيرهم[٩]، وأمّا تنوع التسميات من قبيل: البراغماتية، وعلم التداول، وعلم المقاصد، والمقامية، والسياقية، والإفعالية، وغيرها من المصطلحات..؛ فكانت نتيجة لتعدّد تلك المنطلقات واختلافها وتداخلها في الدراسة التداولية ولا سيّما في ترجمتها الى العربية؛ ما أحدث بالنتيجة نوعًا من الفوضى المصطلحية ما لا يخدم الدرس اللغوي العربي الحديث، ما يجعل من مصطلح "التداولية" المصطلح الأشهر لدى الباحثين في هذا المجال[١٠].

وأمّا الاستعمال الحديث للتداولية فيرجع إلى تلك التأويلات التداولية للسيميائية ودراسة الاتصال اللفظي في كتاب " أسس نظرية العلامات لـ تشارلز موريس عام ١٩٣٨ في التقريب بين السيمياء واللسانيات[١١]، وقد أخذ تشارلز موريس هذا الاصطلاح عن الفيلسوف الفرنسي (كانت) واستفاد منه في بناء نظرية عامة للعلامات؛ إذ قسم السيمياء إلى ثلاثة أفرع: النحو (التركيب)، وعلم الدلالة، والتداولية، وبهذا فقد جعل موريس التداولية جزءا من السيميائية [١٢]، ويعد موريس أول من بادر الى وضع تعريف خاص بالتداولية خلاصته: التداولية دراسة علاقة العلامات بمستعمليها، أي دراسة اللغة في أثناء ممارستها إحدى وظائفها الإنجازية والحوارية والتواصلية [١٣].

أما عند رائد التداولية أوستين الذي يعدّ من المؤسّسين الأوائل لنظرية (أفعال الكلام) ومن الذين طوّروا البحوث في هذا المجال من خلال مجموعة من الأعمال أهمها: تطبيقه نظرية الأفعال اللغوية على الخطاب الأدبيّ عند وليام جيمس التي توصل إلى التمييز بين ثلاثة أنواع من الأفعال اللغوية "الأفعال الإخبارية، الإنجازية وهي مجموعة من الأفعال التي توظف في إطار عملية التواصل"[١٤]، والأفعال اللغوية التي لا تخبر بشيء وتسمى بالأفعال الإنشائية التي تدخل في ضمن المستوى الجماليّ، والبلاغيّ، والأفعال التي لا تنتمي إلى الإخبار أو الإنشاء؛ فتشمل كلّ الأفعال التي يلجأ اليها المرسل والمتلقي لاستمرار التواصل وجلب انتباه السامع. فالتداولية تدرس الاتصال اللغوي في إطاره الاجتماعي بالكشف عن الشروط والمعطيات التي تسهم في إنتاج الفعل اللغوي من جهة، كما تبحث عن فاعليته وآثاره العمليّة من جهة أخرى، وفي هذا الإطار يقول صلاح فضل: " فالتداولية إذن تعنى بالشروط والقواعد اللازمة الملائمة بين أفعال القول ومقتضيات المواقف الخاصة به؛ أي العلاقة بين النص والسياق"[١٥]، ومن هنا يلاحظ أنّ" التداولية تدرس الاستعمال اللغوي في الاتصال اللساني وفق معطيات سياقية واجتماعية معينة لذلك عرّفها بعض العلماء بأنها " الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحدثية، والبشرية" [١٦]، وبوصف التداولية منهجًا فقد وجد تحتها توجهات مختلفة فبعد أن كانت تعنى بخصائص استعمال اللغة؛ أي الدوافع النفسية للمتكلمين، وردود أفعال المستقبلين، والنماذج الاجتماعية للخطاب، من خلال الخصائص التركيبية الدلالية، ما يجعل وظيفة التداولية تكمن في استخلاص العمليات

التي تمكن الكلام من التجذر في إطاره الذي تشكله ثلاثية: (المرسِل، المخاطِب)، والمتلقّي(المخاطَب) والوضعية التبليغيّة[١٧]، وبذلك يشير إيلوار إلى أن التداولية إطار معرفي يجمع بين مجموعة من المقاربات تشترك عند معالجتها للقضايا اللغوية في الاهتمام بثلاثة معطيات لها أثر فعّال في توجيه التبادل الكلاميّ، وهي: (المتكلمون)، و(السياق) و(الاستعمالات العادية للكلام)، ومن هنا يرى جون ديبوا أنها تحولت فيما بعد مع أوستين إلى دراسة أفعال اللغة إلى أن امتدت، واتسعت لتشمل نماذج الاستعمال والتلفظ وشروط الصحّة، والتحليل الحواري [١٨]، وهو ما نجد مصاديقه في كتابه المعروف ب(الفعل بالكلمات) الذي حققه جايمس أوبي أورمسن، ومارينا سبيسا، وترجمه طلال وهبة، حيث جمعت في هذا الكتاب مجموعة محاضرات عنواناتها الرئيسية حول: ما يسمى بالأدائي والتقريري، والمقولات الأدائية الصّحيحة، وتصرفات الإفصاح والإفصاح التعبيري والإفصاح الإنجازي، والمعايير الأدائية الصحيحة، وغيرها من العنوانات الأخرى[١٩] التي استطاعت وصف النظرية من جوانبها المتعددة في كيفية الأثر الذي تحدثه الكلمات والتراكيب ومدى قدرتها على إنجاز الأشياء.

والجدير بالذكر أن نظرية أوستين في الأفعال الكلامية تلك جاءت واحدة من نظريات عدّة انضوت تحت مفهوم المنهج التداوليّ، وهي: (نظرية التلفظ)، و(نظرية الخطاب وقوانينه)، و(نظرية أفعال الكلام) نفسها، وهي تتفق في عنصر السياق وتختلف في طريقة التعبير عنه[٢٠].

ونظرية أفعال الكلام: نظرية انبثقت من رحم الفلسفة التحليلية فعُدّت لُبّ الدرس التداوليّ[٢١]، فالتداخل المعرفي الحاصل بين التداولية والعلوم الأخرى، كالفلسفة وتحليل الخطاب، واللسانيات جعل بعض الباحثين يعتقدون أنّ التداولية ليست واحدة، وإنما هي متعددة يوحدها العنصر الشكليّ لممارسة سلطة المعرفة والاعتقاد ما دام الأمر مرتبطا بالتواصل واستهداف المعنى[٢٢]، لذا كان لهذه النظرية التداولية الأثر في تغيير النظرة التقليدية للكلام التي عرفت بانحيازها الشديد للاستعمال المعرفي والوصفي له، ونظرت إلى اللغة في بعدها الدينامي؛ باعتبارها قوّة فاعلة في الواقع ومؤثرة فيه، وبذلك ألغت الحدود القائمة بين الكلام والفعل، وهو ما قصده أوستين في كيفية قدرة الأفعال اللغوية على الإنجاز ضمن سلسلة التبادل الدائر في فلك الواقع الإنسانيّ، أو الحياة الاعتيادية[٢٣]، وفحوى الفعل الكلاميّ أنّه كلّ ملفوظ ينهض على نظام شكليّ دلاليّ إنجازي تأثيري، وفضلا عن ذلك يعدّ نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازية وغايات تأثيرية تخصّ ردود فعل المتلقي[٢٤]، على أساسٍ أرساه أوستين مفاده أن اللغة تهدف إلى وصف الواقع، فكل الجمل عدا الاستفهامية والأمرية والتعجبية، يمكن الحكم عليها بأنها صادقة، أو كاذبة [٢٥]، وهذا لا يصدق على اللغة العربية حيث يتسع الأمر إلى ضروب أخرى من الإنشاء مثل: التمني والترجي والنداء وغيرها [٢٦]، وأطلق مصطلح المغالطة الوصفية، ورأى أن هناك نوعًا آخر من العبارات الوظيفية في تركيبها، لكنها لم

تصف وقائع العالم ولا يمكن وصفها بالصدق ولا الكذب، كأنّ يقول رجل مسلم لامرأته: أنت طالق، أو يقول أوصي بنصف مالي لمرضى السرطان، أو يقول وقد بشر بغلام: سميته يحي، فهذه العبارات وأمثالها لا تصف من وقائع العالم الخارجي، ولا توصف بالصدق والكذب؛ بل إنك إذا نطقت بواحدة منها أو مثلها لا تنشيء قولا بل تؤدي فعلا فهي أفعال الكلام أو هي أفعال كلامية[٢٧]، ومن هنا توصل أوستن إلى تقسيم الأقوال إلى تقريرية (وصفية) وإنشائية[٢٨]، أمّا الأفعال التقريرية فهي نفسها ما يسمّيها العرب بـ (الأساليب الخبرية) التي تحتمل الصدق والكذب لذاته، بحيث يصح أن يقال إنه صادق أو كاذب يسمى كلاما خبريا والمراد بالصادق، ما طابقت نسبة الكلام فيه الواقع، وبالكاذب ما لم تطابق نسبة الكلام فيه الواقع[٢٩]، أمّا النوع الثاني من الأقوال فهي لا تصف ولا تخبر ولا تمثل ولا هي خاضعة لمعيار التصويب، إنّ ميزتها تكمن في أن التلفظ بها يساوي تحقيق فعل في الواقع، ويسميها أوستين: الأقوال الإنشائية، كأنّ تقول: أعلن الجلسة مفتوحة، أتحداك على صعود الجبل، آمرك بفتح الباب؛ فلا بدّ أن تتوافر في هذه الأقوال مجموعة من الشروط؛ فقول القاضي:" أعلن الجلسة مفتوحة ينتج عنه فعل (الافتتاح)، وهو الوحيد الذي له الحق في ذلك، والمثال الثاني يمثل فعل (التحدّي) وللتحدي شروط، أهمها القدرة على القيام به، وأما قول: " آمرك بفتح الباب" فيمثل (الأمر) لا بد أن يوجد آمر ومأمور ونسق قانونيّ يسمح بتحقيق الأمر، ومن ثمّ فإنّ الحقيقة الوحيدة التي تستند إليها أفعال الكلام هي الإنجاز[٣٠].

وقد ميز أوستين بين بنية ثلاثة أفعال كلامية[٣١]، هي: (الفعل التلفظيّ، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري)، ثمّ قام بتصنيف الأفعال فيما بعد من حيث دلالاتها على أساس ما أسماه قوتها الإنجازية إلى مجموعات وظيفية خمس[٣٢] وهي: (الأفعال الدالة على الحكم (الحكميات)، وأفعال الوعد (الوعديات)، وأفعال السلوك (السلوكيات)، وأفعال الإيضاح (التبيينات)، وأفعال القرارات (الإنفاذيات)، وعلى ما يبدو فإنّ أوستين نفسه وجد أن هناك بعضَ الإشكالات في هذه التقسيمات، ونتيجة لذلك اقترح تلميذه سيرل تقسيمًا آخر[٣٣] يتمثّل في:

١. (التوجيهيات): غايتها الكلامية تكمن في جعل المتكلم مسؤولا عن وجود وضع للأشياء ويشمل: التأكيد، التحديد، الوصف..

٢. (الطلبيات): وغايتها حمل الشخص على القيام بفعل معين وتشمل الأمر، النهي، الطلب.

٣. الوعديات: وغايتها إلزام المتكلم بالقيام بشيء (وهو لا يختلف عن تعريف أوستين له، باعتراف سيرل نفسه[٣٤].

٤. التعبيريات: وتتمثل في الإفصاح والتعبير عن حالة نفسية مثل: الاعتذار، والسرور..

٥. الإعلانيات: غايتها إحداث تغيير عن طريق الإعلان وتشمل الأفعال الدالة على ذلك: الإعلام والإخبار والإعلان...

و يعدّ سيرل من أوائل الذين تناولوا مفهوم أفعال الكلام غير المباشرة، وهي تلك التي لا تدلّ صيغتها الظاهرة على ما تدلّ عليه، ويرى أن هناك حالاتٍ يستطيع فيها المتكلم قول جملة ويريد بها معناها الظاهر، ويدلّ ذلك على مقولة ذات محتوى إسنادي مغاير، وانطلاقا من هذه الإشكالية، وهنا يجدر الإشارة إلى أن العرب قد تنبهوا سابقا إلى مفهومي أفعال الكلام المباشرة، وغير المباشرة بوصفها أصولا وفروعًا، وشكل ما أنجزوه من أبحاث في هذا الصدد تقدّما لا مثيل له في الدراسات اللغوية، والأسلوبية[٣٥] .

أهمية التحليل التداولي في إعادة قراءة النصوص

ظهرتِ النظرية التداولية، وبدأت تتبلور في إطار اللسانيات الحديثة؛ فصارت درسًا حديثًا يمتلك أسسًا منهجية ومقومات ومفاهيم ومصطلحات؛ لذا أصبحت مألوفة في تحليل الظاهرة اللغوية (الكلامية)؛ فأخذ الباحثون بها أداة لتحليل " عمليات الكلام بصفة خاصة ووظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام"[٣٦]، وبعبارة أخرى فقدِ انشغلت في الأساس بدراسة (فعل الكلام)، ومعالجة وظائف الأقوال اللغوية؛ لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة وناجحة ومناسبة في الموقف التواصليّ الذي يتحدث فيه المتكلم[٣٧]؛ لتنتقل عملية وصف اللغة البشرية من حدود التقليد الذي كان يشتغل في حيزه كل من(النحو التركيبي) الذي اشتغل على دراسة علاقة العلامات اللغوية بعضها ببعض، و(الدرس الدلالي) الذي اشتغل في دراسة علاقات العلامات اللغوية بالمعاني التي تدل عليها؛ إلى حيّز الاتّجاه التداوليّ الذي عني بعلاقات العلامة اللغوية بمستخدميها[٣٨]؛ أي أنه حيّز اشتغل فيه المنهج التداولي على البعد الاستعمالي والإنجازيّ للكلام، وللغة والخطاب، آخذًا بنظر الاعتبار كلا من المتكلّم والسياق الذي ورد فيه الكلام[٣٩].

وللتحليل التداولي أهمية كبيرة في قراءة النصوص، وفهمها؛ لذلك فإنّ الأسئلة اللسانية التي تطرحها التداولية حول من المتكلم؟، ومن هو المتلقي؟، ما هي مقصديتنا في أثناء الكلام؟، كيف نتكلم ونسعى لقول شيء آخر؟، ماذا علينا لتجنب الإبهام والغموض في عملية التواصل؟، هل المعنى الضمني كان لتحديد المقصود؟ [٤٠]، ما يفسر لنا فكرة كون "الفلسفة التحليلية" يعد أبرز حقل معرفي أثر في ظهور التداولية، وهي لدى الكثير المنبع الأول الذي انبثقت منه أولى البوادر التداولية ولا سيما ظاهرة الأفعال الكلامية "les actes de langage"، كما هو في الـ" الذرائعية" أو (البراغماتية)، الذي يعدّ أحد روافد التداولية التي امتدّت جذورها الجينية إلى منظّري السيمياء أمثال "شارل بيرس" وشارلز موريس" و" جون ديوي" وبالأخصّ الأوّل منهم[٤١]؛ ولذلك نجد أهمية كبيرة لهذا المنهج الحديث في إعادة قراءة النصوص وتحليلها؛ لأنّ الفلسفة

التحليلية التي يستند إليها أتاحت لنا مصطلحات وأدوات اشتغال كثيرة في النصّ، أو الخطاب من قبيل:(التصورات العقلية، النتائج العملية، البعد الاستعماليّ، والإنجازي للغة، النص وبنية الخطاب، الجوانب الدلالية، والسياقية، الإحالات النحوية، مقاصد النص وغاياته، الفعل التواصلي.. وغيرها)، وهي مصطلحات وأدوات تعدّ مهمّة في قراءة النصوص الدينية وإعادتها، كما في زيارة أمير المؤمنين المخصوصة في يوم الغدير المروية عن الإمام الهادي الذي نقلت عنه منظومتنا الفكرية الإسلامية نصوصًا دينية كثيرة لها الأثر في إثراء هذه المنظومة وإشباعها معرفيا. ومن المهم الإشارة إلى أن هذه القراءة تستمد قوتها في نتائجها التي سنخرج بها بوساطة منهج لساني معتمد في ميدان الدراسات اللسانية الحديثة في قضية تاريخيًّا قديمة، وثابتة كقضية يوم الغدير مع ما رافقها من تغييرات في التطبيق أو الاعتقاد وذلك من خلال هذه الزيارة المباركة.

المبحث الثاني: الأفعال الكلاميّة في زيارة الإمام عليّ(عليه السلام) المخصوصة الواردة عن الإمام الهادي (عليه السلام) في ذكرى يوم الغدير

الجانب التطبيقيّ

التّحليل التداوليّ لأهمّ فقرات الزيارة الرئيسة على وفق نظرية أوستين وسيرل في الأفعال الكلاميّة

وفي ما تقدم عرضنا في الجانب النظري تقسيم كلٍّ من أوستين وسيرل لأصناف الفعل الكلاميّ؛ إذ انتهى أوستين في نهاية المطاف إلى أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال تمثّل كيانًا واحدًا، وتؤدي في الوقت نفسه الذي ينطق فيه بالفعل الكلامي ولو أنّه تم تجزئتها . كما سنفعل في التطبيق . فليس إلا من قبيل التيسير الإجرائي قصد الفهم والدراسة وحسب، وهي (١. الفعل القولي (اللفظي)، و٢. الفعل الإنجازي (المتضمن في القول)، و٣. الفعل التأثيري (الناتج عن القول) [٤٢]، وأمّا سيرل فقد أوضحنا كيف ضبط نظرية أستاذه أوستين وأنضجها[٤٣]، واضعًا الأسس المنهجية الواضحة للنظرية محدّدًا معالمها، وقد انتهى إلى تقسيم الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف سنخضع نص الزيارة لها على النحو الإجرائي كذلك وهي: (١. الإخباريات ٢. الطلبيات ٣. الوعديات ٤. التعبيريات ٥. الإعلانيات)[٤٤] على أنّني حاولت تحليل مفاصل النصّ المُستهدفة إلى التقسيمين كليهما بحسب الترتيب الاعتباري في أسبقية أوستن على تلميذه سيرل.

وقبل أن نشرع بالتحليل التداولي لكل فعل كلامي منجز في الزيارة، لا بد من الإشارة إلى وصف لجغرافيا النص التي تقاسمتها مجموعة من الأفعال الكلامية المتضمنة في تراكيبها اللغوية المتنوعة؛ إذ سأشير إلى ترتيب أبرزها على النحو الآتي:

١. فعل (السلام).

٢. فعل (الشهادة).

٣. فعل (القسم).

٤. فعل اللعن.

أوّلًا/ القوة الإنجازية في أفعال (السلام):

إذ تبدأ الزيارة بورود لفظ (السلام) إحدى عشر مرة، وهما فقرتان للـ (السلام) أولهما فقرة (السلام) موجهة للرسول (صلى الله عليه وآله)، وتتلوها فقرة (السلام) موجهة لأمير المؤمنين (عليه السلام) فيما ورد من قول الإمام الهادي (عليه السلام) مستفتحًا الزيارة:

" اَلسَّلامُ عَلى مُحَمَّد رَسُولِ اللهِ خاتَمِ النَّبِيّينَ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلينَ، وَصَفْوَةِ رَبِّ الْعالَمينَ، اَمينِ اللهِ عَلى وَحْيِهِ وَعَزائِمِ اَمْرِهِ، وَالْخاتِمِ لِما سَبَقَ، وَالْفاتِحِ لِمَا اسْتُقْبِلَ، وَالْمُهَيْمِنِ عَلى ذلِكَ كُلِّهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ وَصَلَواتُهُ وَتَحِيّاتُهُ، اَلسَّلامُ عَلى اَنْبِياءِ اللهِ وَرُسُلِهِ وَمَلائِكَتِهِ الْمُقَرَّبينَ وَعِبادِهِ الصّالِحينَ.

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا اَميرَ الْمُؤْمِنينَ، وَسَيِّدَ الْوَصِيّينَ، وَوارِثَ عِلْمِ النَّبِيّينَ، وَوَلِيَّ رَبِّ الْعالَمينَ، وَمَوْلايَ وَمَوْلَى الْمُؤْمِنينَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا مَوْلايَ يا اَميرَ الْمُؤْمِنينَ، يا اَمينَ اللهِ في اَرْضِهِ، وَسَفيرَهُ في خَلْقِهِ، وَحُجَّتَهُ الْبالِغَةَ عَلى عِبادِهِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا دينَ اللهِ الْقَويمَ، وَصِراطَهُ الْمُسْتَقيمَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا النَّبَأُ الْعَظيمُ الَّذي هُمْ فيهِ مُخْتَلِفُونَ وَعَنْهُ يَسْأَلُونَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا اَميرَ الْمُؤْمِنينَ، آمَنْتَ بِاللهِ وَهُمْ مُشْرِكُونَ، وَصَدَّقْتَ بِالْحَقِّ وَهُمْ مُكَذِّبُونَ، وَجاهَدْتَ وَهُمْ مُحْجِمُونَ، وَعَبَدْتَ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدّينَ صابِراً مُحْتَسِباً حَتّى أَتاكَ الْيَقينُ، اَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظّالِمينَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا سَيِّدَ الْمُسْلِمينَ، وَيَعْسُوبَ الْمُؤْمِنينَ وَإِمامَ الْمُتَّقينَ، وَقائِدَ الْغُرِّ الْمُحَجَّلينَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ".

وبغضّ النّظَر عن التعاطف الحاصل بين ألقاب ومسميات وأوصاف متعددة خوطب بها أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذه الزيارة المخصوصة من خلال السلام مثل:(سيّد الوصيين، ووارث علم النبيين، وولي ربّ العالمين، سفير الله في خلقه، وحجته البالغة، وصراطه المستقيم، ويعسوب الدين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين) التي اشتغل بها حرف العطف (الواو) بعد كلّ سلام، في مواضع مختلفة، إلا أننا سنركز على فعل (السلام) في التحليل تداوليا، بلحاظ ما تبعه من أوصاف لحقت حرف النداء (يا) بشكل مباشر، وصريح.

فأمّا أوّل خطابات السلام التي بدأت بها الزيارة فكان موجّها لمقام الرسول (صلى الله عليه وآله) بصيغة "السلام على محمد رسول الله خاتم النبيين"، وثاني هذه الخطابات كان موجها بالترتيب إلى مقام

الأنبياء بقوله (عليه السلام): (السلام على أنبياء الله ورسله)؛ ثمّ يتلوهما توجيه السلام الى مقام أمير المؤمنين (عليه السلام)..، ومن يتتبع فعل (السلام) الموجه إلى مقامه (عليه السلام) يجد أنّه قد تكرر بصفات ونعوت ومقامات مختلفة وهي بالترتيب كما يأتي:(السلام على أمير المؤمنين، السلام عليك يا مولاي، السلام عليك يا دين الله القويم، السلام عليك أيها النبأ العظيم، السلام عليك يا سيّد المسلمين) ترددت بين فقرات الزيارة بين الفينة، والأخرى.

وعلى العموم فبما أنّ صيغ السلام الآنفة الذكر اختلفت في صياغتها والجهة التي وجهت إليها فلا بدَّ من وجود تباين في قوة وشدة الغاية الكلامية ، فضلا عن وجود نوع من التباين بين وضع المتكلم والمستمع باعتبارهما من يحددان مدى القوة الإنجازية للكلام، ويتجلى ذلك في الوضعيات التي يكون فيها المتكلم في مرتبة أعلى من مرتبة المستمع (اجتماعية، عسكرية، إدارية..) [٤٥]؛ فمن وجهة نظر تداولية يمكن أن نعدّ هذا النوع من التحية والسلام كاشفًا عن غايات بلاغية وتداولية عميقة؛ لأنّ تكرار(السّلام) بهذه الصورة لا يعدّ تكرارًا تعبّديا مجرّدًا وحسب، وإنما يحمل وظائف تداولية متعددة تتجاوز الأداء اللفظي إلى إنتاج أفعال دينية معرفية وعقائدية متعلقة بالهوية الإسلامية العامة والخاصة، ولا سيما أنّها صادرة عن شخصية دينية رسمية معروفة كشخصية الإمام الهادي (عليه السلام)، وفي سياق شعائريّ كذكرى يوم عيد الغدير.

ولو أخضعنا هذا النوع من الأفعال للتحليل على وفق ما تتيحه تقسيمات كل من (أوستين) وسيرل وتصنيفهما للأفعال الكلامية على النحو الإجرائي، يمكن أن نخرج بالتصورات الآتية:

١. أنّ الفعل التلفظيّ الذي يمثل التقسيم الأول للأفعال عند أوستن قد تمثل بألفاظ (السلام) التي وردت في الزيارة، ولكن بمستويات مختلفة ومتنوعة في صيغها؛ ففي صيغة "**السلام على محمّد** رسول الله خاتم النبيين" تضمن هذا الملفوظ محتوى خبريًا لغويًا يتمثل في السلام على رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله)، مقرونًا بأوصاف ومقامات كـ "رسول الله" و"خاتم النبيين"، و" صفوة رب العالمين"، و" أمين الله"، و" الخاتم لما سبق"، و" الفاتح لما استقبل"، و" المهيمن على ذلك"..، إذا ما أردنا وصفها لغويا، فهي نعوت تعبّر لفظيّا عن سجل لغوي ديني رسمي يتسم بالجزالة والوقار، يتبعها صيغة (السلام على الأنبياء والمرسلين) في قول لغوي مباشر يتمثل في تحية (السلام) موجهة إلى أنبياء الله ورسله (عليهم السلام) وهم مجموعة مخصوصة من الشخصيات الإلهية المبعوثة؛ لذا تقرأ على أنّها عامة وشاملة لجميع الأنبياء والرسل.

أمّا في صيغة (السلام على **أمير المؤمنين**)، فتعبير لفظي عن لقب يمكن أن نعبر عنه بالـ (رسمي) للمزور (عليّ بن أبي طالب) (عليه السلام)، وحين سلّم عليه الإمام الهادي (عليه السلام) بصيغة (السلام عليك يا **دين الله**)، فإن الفعل التلفّظيّ هنا يحمل وصفا (رمزيا)، مقترنا بالله (عز وجل)، بينما اختلفت

طبيعة السلام الموجّه بشكل تصاعدي حين أدّى السلام على المزور (عليه السلام) بصيغة أخرى حملت طابعا قرآنيا معقّدًا حين استخدم صفة (النبأ العظيم) في قوله: "**السلام على النبأ العظيم** الذي هم فيه مختلفون، وعنه يسألون.."؛ كونه قد أحال إلى آية قرآنية، ولا يعدّ كونها قرآنية سببًا للغموض والتعقيد؛ بل في مدى ذلك الاختلاف الذي يحيط باسم (النبأ العظيم) الذي خاطبه به؛ فهو في حدّ ذاته محلّ اختلاف بين التفاسير؛ إذ ينقل في بعض التفاسير أنّه هو المقصود بـ (النبأ العظيم)[٤٦]، بينما يفسر بأنه (القرآن)، وآخر بـ (يوم القيامة)، وآخر بـ (يوم البعث)[٤٧].

أمّا في نهاية الزيارة فتأتي صيغة سلام أُخرى لكنها هذه المرة حملت طابعًا شموليّا للـ (المسلمين) كافة، وهي تحيّة تتسم بالهيبة للمخاطب بقوله: " **السلام عليك يا سيد المسلمين**" كما يتّسم بالعموم.

٢. أما لو قرأنا الأقوال اللغوية لفعل "السلام" بلحاظ ما أسماه أوستن بالفعل الإنجازي والذي يتعلق بشكل عام بما ينجزه المتكلم من وراء النطق بالأقوال، ففي هذا النوع المختلف من أشكال السلام متعدّد النعوت والشخصيات الدينية الموجه إليها، والمقامات التي تلحقها فلا بد أنّها تنجز قوة لعلها تتوافر على علاقة بالمتكلم والسامع على السواء؛ فمن وجهة نظر قاصرة أرى أنّ إلقاء السلام في كلّ صيغة مختلفة وردت في الزيارة المخصوصة هذه، مراتب متعددة من أصناف الأفعال التي ذكرتها النظرية التداولية، يمكن أن تتعلق بالإثبات والتوجيه والتعبير وحتى الوعد والإعلان كما جاء في تقسيمات سيرل للأفعال الكلامية.

فأمّا القوة التي ينجزها الفعل القولي الإنجازي للسلام الموجه إلى رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله) فهي فعل (الإقرار)، وفعل (التمجيد) وفعل (الشهادة) وفعل (الإجلال) لمقام النبي (صلوات الله عليه وآله)؛ كونه خاتم الأنبياء والمرسلين، ويمكن قراءتها على أنّها أفعال أقرب ما تكون إلى فعل التوجيه، الذي غايته حمل الشخص على القيام بفعل معين وتشمل الأمر والنهي والطلب..، ففعل السلام على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذه الصورة الكلامية، يعبر تداوليّا عن مشاعر الانتماء ويتجاوز كونه مجرد فعل يراد به التحية العادية التي تلقى على شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) ـ بوصف السلام تحية اجتماعية معروفة ـ إلى فعل يمكن وصفه بـ (التبجيل الشعائري)، كما أنّ فيه إقرارا بعقيدة الخاتمية، والرسالة، ولعلّ ابتداء الزيارة بالسلام على الرسول (صلى الله عليه وآله) فيه توجيه للمخاطب بالإشعار بضرورة افتتاح شعيرة الزيارة بلفظ السلام كما ورد تماما، ابتداءً بسيّد الخلق والمرسلين محمد (صلوات الله عليه وآله).. ومرورا بالأنبياء والمرسلين حتى يصل إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، فضلا عمّا يؤديه فعل السلام بهذه الصورة من الدعاء له (صلوات الله عليه وآله) بالسلام، والرضوان.

وبلحاظ أهمية كلّ من السياق التداولي الذي يتضمن السياق الزماني لـ (يوم الغدير)، والسياق المكاني(لمكان شريف وحالة طقوسية جماعية)، وسياق اجتماعي (يتمثّل في مجتمع مؤمن بولائه لآل البيت (عليهم السلام)؛ فهي تداوليّا تمنح أفعال الكلام قيمة مضاعفة وتجعل من كل كلمة ورد فيها (السلام) فعلا تداوليا متكامل الوظائف، منها أنّ الزائر في هذا المقام يُعلن بحضرة زمانية ومكانية محددة، شهادته بهذا المقام النبوي، فيكون السلام بحسب النظرية التداولية، فعلًا أقرب إلى الشهادة العقدية منه إلى التحية الاجتماعية، وهذه الشهادة تمثل بالنتيجة ما يمكن أن نسميه (إشهادًا شعائريًّا) تتضمنه التبعية والولاء لمحمد (صلوات الله عليه وآله)، وآل بيته الذين اختتم السلام الموجه للرسول بهم بقوله (عليه السلام): "وآله الطيبين الطاهرين"، ليتضمّن ذلك بالنتيجة إعلانًا للتبعية العقائدية لخط الرسالة المتمثل في آل البيت، وهذا التضمين يحمل وظيفة (التزام ضمني) بالولاء لهم (صلوات الله عليهم أجمعين) وفي مقدمتهم أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي تسلم وصاية النبي في يوم الغدير في فعل طقوسي شعائريّ كبير لا يمكن لأحد إنكاره.

وأمّا القوّة التي ينجزها الفعل اللفظي للسلام على أنبياء الله (عليهم السلام) فتتمثل في الإقرار بدورهم، ورسالاتهم في الدّين.

وأمّا القوّة الإنجازية لفعل التحية والسلام الموجهة للإمام بصورة مباشرة: " **السلام عليك يا أمير المؤمنين**" فيمكن وصفها بحسب ما أتاحه تقسيم سيرل من أبعاد تداولية للأقوال بـ (إعلان) الاعتراف بإمامته إعلانًا مباشرًا وصريحًا، وتثبيت مكانته كقائد روحي للزائر الواقعي والافتراضي[٤٨].

وفي تعدد أشكال التحية الموجهة إليه بحسب النعوت والصفات التي خوطب بها (عليه السلام) في الزيارة وفي مواضع متعددة؛ مثل ما ورد في الزيارة: " **السلام عليك يا مولاي** يا أمير المؤمنين"، فهنا يستحضرنا ملمحٌ من الملامح التداولية لدى الجاحظ في قوله: " المعاني القائمة في صدور الناس، المتصورة في أذهانهم، والمتغلغلة في نفوسهم... مستورة خفية، وبعيدة وحسية، ومحجوبة مكبوتة... لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه.. إلا بغيره، وإنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إياها، وهذه الخصال هي التي تعود بها إلى الفهم وتجليها للعقل... وتجعل المهمل معبدا، والمقيد مطلقا... وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجح..." [٤٩]، فمن خلال صيغة القول اللفظي لهذه الأقوال يظهر لنا كيفية تحول الخطاب تداوليا إلى قوة اعتراف الإمام الهادي (عليه السلام) بالولاء والتبعية لأمير المؤمنين (عليه السلام)، من جهته بوصفه متكلّما، أمّا من جهة السامع والمتلقي فيتضمن قيمة تداولية واضحة يمكن قراءتها على أنها (إثبات، أو تقرير، أو إعلان..) في وصف يتضمن مجموعة من القوى الإنجازية منها إظهار الطاعة والولاء للمزور بوصفه (مولى) بلحاظ الأفعال(

التعبيرية) أو (الإعلانية) أو (التوجيهية) بحسب سيرل، وبالنتيجة فهي تتضمن نوعل من الاعتراف بالمقام الروحي والسيادي له (عليه السلام)، فضلًا عن مسألة الارتباط العقائدي بمبدأ الولاية.

وفي صيغة السلام الواردة بـ " **السلام عليك يا دين الله**"، فإن إقرارا بأن الإمام (عليّ بن أبي طالب) (عليه السلام) تجسيدٌ للدين ومصداق له، فيما ورد من قوله (عليه السلام) في الزيارة: " **السلام عليك أيها النبأ العظيم** الذي هم فيه مختلفون"، فلا يخفى على القارئ ما فيه من قوة إنجازية كلامية في تثبيت أثر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في (مركز الخلاف الديني)، ليحقق قوة إنجازية أخرى تعضد مسألة فعل (الإقرار) به كزعيم روحي وسياسي لكل المذاهب المسلمة، وذلك حين يخاطبه بالقول: " **السلام عليك يا سيد المسلمين**" وكأنّ أفعال (الإقرار) و(الإعلان) و(الاعتراف) جاءت نتيجة لما عبر عنه أوستن نفسه بقوله:" أنّ التلفظ بهذه الجمل في المناسبات المخصوصة ليس هو وصف حال القيام بالفعل بل إنّ النطق بالجمل هو إنجازها وإنشاؤها، ذلك أنّ العبارات المتلفظ بها لا يدل شيء منها على التصديق ولا على التكذيب،.. إني أقترح أن أطلق عليها مصطلح جملة إنجازية، أو عبارة إنشائية.. ويدل لفظ الإنشاء على إحداث التلفظ هو إنجاز لفعل وأنشاء لحدث" [٥٠] وهذا الحدث تمثل بالإقرار والإعتراف والإعلان بولاية أمير المؤمنين على المسلمين كافة .

٣. أما لو قرأنا الأقوال المعبرة لغويا عن (السلام) الموجه للمزور بلحاظ ما يسميه أوستن بـ (الفعل التأثيري) الذي يتمثل بالأثر النفسي والسلوكيّ لكلّ ما سبق من تأثير للأقوال في قوتها اللفظية والإنجازية عند المتلقي سواء كان سامعًا مباشرا أو متلقيا لاحقا، على أساس أنّ كل فعل تأثيري يطمح بالنتيجة إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا أو مؤسساتيا، ومن ثم إنجاز شيء ما[٥١]، فإنّ تلك الأقوال لا بد أن توجد أثرها في تعزيز الإيمان وتقوية الارتباط الروحي بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) واستثارة مشاعر الاحترام والتبجيل في قلب الزائر والسامع، كما لا يخلو من أثر في (التوجيه) و (التذكير) لمن نسي أو تغافل عن قرابة أمير المؤمنين من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أو إقناع من يتحجج أو يماطل، بمنزلة النبي الأولى في الدين، ومدى الارتباط التكويني والشرعي والعقائدي بينه وبين أمير المؤمنين (عليه السلام)، فضلًا عن توليد نوع من الشعور بالقداسة والتبجيل وتعزيز الإيمان برسالة النبي (صلى الله عليه وآله) وتعزيز فكرة الوحدة الدينية والتكامل بين الرسالات، وتعزيز الولاء والارتباط الشخصيّ في تأكيد طاعة الإمام وتأكيد مكانته القيادية بوصفه مرجعًا دينيّا شاملًا، وموسوعيًّا.

وبحسب تقسيمات سيرل للأفعال الكلاميّة يمكن توصيف الأثر التداوليّ لفعل السلام في زيارة أمير المؤمنين المخصوصة في يوم الغدير بحسب صيغ السلام الموجهة على النحو الآتي:

صيغة (السلام) ا	الجهة المقصودة	نوع الفعل التداولي	المحتوى التداولي	دلالة السلام التداولية
" السلام على محمد رسول الله خاتم النبيين وسيد المرسلين	الرسول (ص)	١. تعبيري	إظهار الاحترام والتبجيل لشخص الرسول (ص).	
		٢. تمثيلي	إثبات رسالته وصفته النبوية.	الجمع بين التحية والإقرار بمقام نبوته (ص) بما يعكس تبني موقف إيماني ومعرفي تجاه النبي (ص)
" السلام على أنبياء الله ورسله"	الأنبياء والمرسلين كافة	١. تعبيري	مدح وتقدير شامل لمقامهم (عليهم السلام)	
		٢. تمثيلي	تأكيد الإيمان بهم جميعا	تؤدي هذه الصيغة وظيفة توحيدية في الخطاب الديني بين جميع الرسل.
" السلام على أمير المؤمنين	الإمام علي (ع)	١. تعبيري	تبجيل وتكريم لمقامه (ع)	
		٢. تمثيلي	تأكيد ولايته وقيادته للمؤمنين	تضمن فعل السلام بهذا اللقب الرسمي (إقرار)ا ضمنيا بعقيدة الإمامة.
"السلام عليك يا مولاي "	الإمام علي (ع)	1. تعبيري	يظهر علاقة وجدانية خاصة بين الزائر والمزور	
		٢. تمثيلي	إقرار بالموالاة والطاعة	
		٣. توجيهي (ضمني)	دعوة ضمنية لتجديد الولاء	يبرز هذا التعبير العلاقة الخاصة بين الإمام وأتباعه، ويؤكد الوظيفة التعبّدية للزيارة.
" السلام عليك يا دين الله القويم"	الإمام علي (ع)	١. تمثيلي	بيان أن الإمام هو تجسيد حي للدين الحق	

		٢. تعبيري	احترام واعتراف بالهداية	تشبيه الإمام بالدين القويم يحمّله معنى رمزيًا وتكليفيًا، حيث يُنظر إليه كميزان للهداية، ما يعكس فعلًا إقراريًا ذا قوة معرفية.
" السلام عليك أيها النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون وعنه يتساءلون "	الإمام علي (ع)	١. تمثيلي	تأويل قرآني يحدد مصداق "النبأ العظيم" بالإمام	
		٢. تعبيري	تعظيم مقامه المحوري (ع)	
		٣. إعلاني (ضمني)	(إعلان) موقف عقدي بشأن دور الإمام في الهداية والاختلاف.	يحمّل هذا الفعل الكلامي بُعدًا معرفيًا تأويليًا مهمًا، حيث يصرّح المتكلم برؤيته العقائدية ضمنًا، ما يعزز البعد الحجاجي للنص.
"السلام عليك يا سيد المرسلين"	الإمام علي (ع)	١. تعبيري	إظهار التقدير والولاء.	
		٢. تمثيلي	تثبيت القيادة الدينية العليا للإمام.	
		٣إعلاني (ضمني)	تقرير رتبته فوق عموم المسلمين.	تعكس هذه العبارة التسليم بقيادة الإمام المطلقة في المجال الديني والسياسي.

ثانيا/ القوّة الإنجازية في أقوال (الشهادة):

وهنا يتبع أقوال (السلام) التي استفتح بها الإمام الزيارة المخصوصة أقوالا أخرى وهي أقوال (الشهادة) التي عبّر عنها قوله (عليه السلام): " **أَشْهَدُ** اَنَّكَ اَخُو رَسُولِ اللهِ وَوَصِيُّهُ، وَوارِثُ عِلْمِهِ وَاَمينُهُ عَلى شَرْعِهِ وَخَليفَتُهُ في اُمَّتِهِ، وَاَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِاللهِ، وَصَدَّقَ بِما اُنْزِلَ عَلى نَبِيِّهِ، وَاَشْهَدُ اَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ عَنِ اللهِ ما اَنْزَلَهُ فيكَ، فَصَدَعَ بِاَمْرِهِ، وَاَوْجَبَ عَلى اُمَّتِهِ فَرْضَ طاعَتِكَ وَوِلايَتِكَ، وَعَقَدَ عَلَيْهِمُ الْبَيْعَةَ لَكَ، وَجَعَلَكَ اَوْلى بِالْمُؤْمِنينَ مِنْ اَنْفُسِهِمْ كَما جَعَلَهُ اللهُ كَذلِكَ، ثُمَّ **اَشْهَدَ** اللهَ تَعالى عَلَيْهِمْ فَقالَ: اَلَسْتُ قَدْ بَلَّغْتُ، فَقالُوا: اَللّهُمَّ بَلى، فَقالَ: اَللّهُمَّ **اشْهَدْ** وَكَفى بِكَ شَهيداً وَحاكِماً بَيْنَ الْعِبادِ، فَلَعَنَ اللهُ جاحِدَ وِلايَتِكَ بَعْدَ الْاِقْرارِ، وَناكِثَ عَهْدِكَ بَعْدَ الْميثاقِ، وَ**اَشْهَدُ** اَنَّكَ وَفَيْتَ بِعَهْدِ اللهِ تَعالى، وَاَنَّ اللهَ تَعالى مُوف لَكَ بِعَهْدِهِ، ﴿وَمَنْ اَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتيهِ اَجْراً عَظيماً﴾، وَ**اَشْهَدُ** اَنَّكَ اَميرُ الْمُؤْمِنينَ الْحَقُّ الَّذي نَطَقَ بِوِلايَتِكَ التَّنْزيلُ، وَاَخَذَ لَكَ الْعَهْدَ عَلَى الْاُمَّةِ بِذلِكَ الرَّسُولُ، وَ**اَشْهَدُ** اَنَّكَ وَعَمَّكَ وَاَخاكَ الَّذينَ تاجَرْتُمُ اللهَ بِنُفُوسِكُمْ فَاَنْزَلَ اللهُ فيكُمْ ﴿اِنَّ اللهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنينَ اَنْفُسَهُمْ وَاَمْوالَهُمْ بِاَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ في سَبيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْراةِ وَالْاِنْجيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ اَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِروُا بِبَيْعِكُمُ الَّذي بايَعْتُمْ بِهِ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظيمُ﴾﴿التّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السّائِحُونَ الرّاكِعُونَ السّاجِدُونَ الْاٰمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنينَ﴾،

اَشْهَدُ يا اَميرَ الْمُؤْمِنينَ اَنَّ الشّاكَّ فيكَ ما آمَنَ بِالرَّسُولِ الْاَمينِ، وَاَنَّ الْعادِلَ بِكَ غَيْرَكَ عانِدٌ عَنِ الدّينِ الْقَويمِ الَّذي ارْتَضاهُ لَنا رَبُّ الْعالَمينَ، وَاَكْمَلَهُ بِوِلايَتِكَ يَوْمَ الْغَديرِ، و**اَشْهَدُ** اَنَّكَ الْمَعْني بِقَوْلِ الْعَزيزِ الرَّحيمِ: ﴿وَاَنَّ هذا صِراطي مُسْتَقيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبيلِهِ﴾، ضَلَّ وَاللهِ وَاَضَلَّ مَنِ اتَّبَعَ سِواكَ، وَعَنَدَ عَنِ الْحَقِّ مَنْ عاداكَ،

اَللّهُمَّ سَمِعْنا لِاَمْرِكَ وَاَطَعْنا وَاتَّبَعْنا صِراطِكَ الْمُسْتَقيمَ فَاهْدِنا رَبَّنا وَلا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ اِذْ هَدَيْتَنا اِلى طاعَتِكَ، وَاجْعَلْنا مِنَ الشّاكِرينَ لِاَنْعُمِكَ، **وَاَشْهَدُ** اَنَّكَ لَمْ تَزَلْ لِلْهَوى مُخالِفاً، وَلِلتُّقى مُحالِفاً، وَعَلى كَظْمِ الْغَيْظِ قادِراً، وَعَنِ النّاسِ عافِياً غافِراً، وَاِذا عُصِيَ اللهُ ساخِطاً، وَاِذا اُطيعَ اللهُ راضِياً، وَبِما عَهِدَ اِلَيْكَ عامِلاً، راعِياً لِمَا اسْتُحْفِظْتَ، حافِظاً لِمَا اسْتُودِعْتَ، مُبَلِّغاً ما حُمِّلْتَ، مُنْتَظِراً ما وُعِدْتَ،

وَاَشْهَدُ اَنَّكَ مَا اتَّقَيْتَ ضارِعاً، وَلا اَمْسَكْتَ عَنْ حَقِّكَ جازِعاً، وَلا أَحْجَمتَ عَنْ مُجاهَدَةِ غاصِبيكَ ناكِلاً، وَلا اَظْهَرْتَ الرِّضا بِخِلافِ ما يُرْضِي اللهَ مُداهِناً، وَلا وَهَنْتَ لِما اَصابَكَ في سَبيلِ اللهِ، وَلا ضَعُفْتَ وَلاَ اسْتَكَنْتَ عَنْ طَلَبِ حَقِّكَ مُراقِباً، مَعاذَ اللهِ اَنْ تَكُونَ كَذلِكَ بَلْ اِذْ ظُلِمْتَ احْتَسَبْتَ رَبَّكَ، وَفَوَّضْتَ اِلَيْهِ اَمْرَكَ، وَذَكَّرْتَهُمْ فَمَا ادَّكَرُوا وَوَعَظْتَهُمْ فَمَا اتَّعَظُوا، وَخَوَّفْتَهُمُ اللهَ فَما تَخَوَّفُوا، **وَاَشْهَدُ** اَنَّكَ يا اَميرَ الْمُؤْمِنينَ جاهَدْتَ فِي اللهِ حَقَّ

جِهادِهِ حَتّى دَعاكَ اللهُ اِلى جِوارِهِ، وَقَبَضَكَ اِلَيْهِ بِاخْتِيارِهِ، وَاَلْزَمَ اَعْداءَكَ الْحُجَّةَ بِقَتْلِهِمْ اِيّاكَ لِتَكُونَ الْحُجَّةُ لَكَ عَلَيْهِمْ مَعَ ما لَكَ مِنَ الْحُجَجِ الْبالِغَةِ، عَلى جَميعِ خَلْقِهِ.."

وهنا حيث تتوالى أقوال (الشهادة) التي يرددها الإمام بين الفينة والأخرى في الزيارة نجد أبعادًا تداولية يمكن توصيفها بما يأتي:

أوّلا: الفعل اللفظي (Locutionary Act):

إنّ تكرار قول الفعل القوليّ "أشهد" في هذه الزيارة المخصوصة، عبّر عن فعل لغوي مباشرينتمي إلى فئة الأفعال الإنجازية الصريحة التي ينجز بها المتكلم فعلا بمجرد النطق بها دون الحاجة إلى مزيد من الأدلة والأفعال، وبتعبير آخر فإنّ النطق بأفعال "الشهادة" الواردة في الزيارة المخصوصة هذه، وهو ما يمكن تشبيهه بألفاظ العقود والمعاهدات التي بحث فيها علماء الأصول على النحو الإجرائي في القوى الإنجازية لتلك المواضعات القولية وشروط أحكامها، ومن ثم استنبطوا أفعالا كلامية جديدة ضمن بحثهم لمعاني الخبر والإنشاء مثل : الإذن، والمنع، والوجوب، والتحريم والإباحة، وغير ذلك [٥٢]، كما في أقوال "الشهادة" التي وردت في الزيارة ما يمثل لفظًا محوريًّا في الخطاب الإسلاميّ الذي تظهر فيه وظيفة عقدية وشهادية، وتتبعه أيضًا سلسلة من الصفات المتعلّقة بالإمام عليّ (عليه السلام) والتي تؤكد مقامات متعددة يمكن أن نصفها بـ : الدينية، الجهادية، والروحية..، وما يميز هذه الافعال اللفظية المتكررة، ما تبعها من جمل تأكيدية عقائدية من قبيل ما ورد من توكيدات في قوله (عليه السلام): " أشهد أنّك أخو رسول الله"، " وأشهد أنه قد بلغ"، و" وأشهد أنك قد وفيت"، و" أشهد أنك وفيت بعهد الله".

ثانيًا: الفعل الإنجازي (Illocutionary Act)

الوظائف التداولية: تتمثل في شهادة عقدية، ففي قوله (عليه السلام): "أشهد أنك أخو رسول الله..." إلى "المجاهد بين يديه..." كلها تؤدي فعلًا خبريًا تأكيديًا، وفيه إعلان انتماء عقائدي وشهادة، يرافقه وظيفة أخرى هي التمجيد والتعظيم؛ لأن الأوصاف المذكورة تمثّل أعلى درجات المدح وتؤكد مقام الإمام بوصفه شريكًا رساليًّا، كما أنه يعبر عن إقرار بولايته الجهادية والروحية (عليه السلام) وأحقيته بالقيادة؛ لما قدمه من تضحيات وصفتها عبارات: "المجاهد بين يديه"، "القائم بأمره"، "تؤثره على نفسك".

وفيما يتعلق بالسياق الزمني لذكرى (عيد الغدير)، فسياق يضفي بُعدًا شعائريًّا واضحًا، يحولها إلى (فعل) طقوسيّ له دلالة دينيّة واضحة.

ثالثًا: الفعل التأثيري (Perlocutionary Act):

إنّ الدور الذي يلعبه الفعل التأثيري يتمثّل في تعزيز مكانة الإمام عليّ (عليه السلام) في ذهن المتلقي كمكمل لرسالة النبي (صلى الله عليه وآله)، وترسيخ الإيمان بولايته ومشروعية خلافته، كما أنه يؤدي دورا في (إثارة) مشاعر الولاء والتعظيم، في سياق تداولي يمثل فيه المتلقي دور الزائر المؤمن أو دور القارئ المتفحص للزيارة بوصفها نصّا يمكن قراءته تداوليا، وفي كلا الدورين تتم وظيفة (استنهاض) وعي المتلقي ببطولات الإمام عليّ (عليه السلام)، ومسؤوليته العقائدية في تأكيد الولاء الكامل، والتبجيل المطلق والإيمان بالخط النبوي العلوي بوصفه خطا رساليا واحدا، وكما سلف يمكن توصيف البعد التداولي لهذه الأفعال كما يأتي:

البعد التداولي	نوع الفعل الكلامي	الوظيفة التداولية
اللفظي	سلسلة لأوصاف خبرية تأكيدية	إعلان شهادة
الإنجازي	شهادة ، تمجيد، إقرار ولائي	فعل طقوسي وشعائري
التأثيري	تعزيز الإيمان، بث العاطفة العقدية	توليد وعي بالهوية الولائية

ثالثا/ القوّة الإنجازية في فعل (القسم):

بعد العبارات التوكيدية التي غلّفت إطار النصّ في سلسلة الأوصاف الخبرية التأكيدية التي أشرنا إليها في التحليل آنفا والتي مثلت دور الإعلان والشهادة لتلك المقامات والأوصاف من الناحية التداولية، يلفت أنظارنا ورود عبارات قسمية في ستة مواضع متفاوتة في نصّ الزيارة وهي كما وردت بالصور التلفظية الآتية:

١. "**وأقسم بالله قسم صدق..**" وهو قسم ورد عن الإمام الهادي نفسه (عليه السلام).

٢. "**والذي بعثني بالحقّ** ما آمن بي من كفر بك.. وهو" قسم ورد في نصّ الزيارة نقلًا عن لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله).

٣. " **والذي نفسي بيده** لقد نظر إليّ رسول الله (صلى الله عليه وآله).. وهو" قسم ورد في نصّ الزيارة نقلًا عن لسان أمير المؤمنين (عليه السلام).

٤. " **فوالله ما كذبت ولا كذبت..**" نقلًا عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

٥. " **صدقت والله وقلت الحقّ..**"، قسم ورد عن الإمام الهادي نفسه (عليه السلام)

٦. " **صدقت وخسر المبطلون..**" وفيه قسم مضمرٌ وورد عن الإمام الهادي نفسه (عليه السلام).

وهي مجموعة من الأقسام التي مثّلت هي الأخرى دورًا واضحًا لوظائف تداولية جديدة في النصّ، وحملت بين طياتها أبعادًا تداولية مختلفة على المستوى اللفظي، والإنجازي، والتأثيري، ومن وجهة نظر تداولية رأيت من الجيد أن نفرز القسم الوراد بحسب الجهة التي صدر عنها القسم وهي ثلاث بحسب الترتيب الذي ورد في النصّ:

١. قسم صادر عن جهة الزائر صاحب النصّ الأصليّ (الإمام الهادي)(عليه السلام).

٢. قسم صادر عن جهة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

٣. قسم صادر عن جهة المزور (الإمام علي) (عليه السلام).

أولا: القسم الصادر عن لسان المتحدث بالزيارة، الإمام الهادي (عليه السلام):

١. فلو أردنا وصف الفعل التلفظي لأقوال الشهادة هذه بلحاظ كل من أوستن وسيرل لقوله (عليه السلام) " **اَشْهَدُ شَهادَةَ حَقّ، وَاُقْسِمُ بِاللهِ قَسَمَ صِدْق اَنَّ مُحَمَّداً وَآلَهُ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِمْ ساداتُ الْخَلْقِ، وَاَنَّكَ مَوْلايَ وَمَوْلَى الْمُؤْمِنينَ، وَاَنَّكَ عَبْدُ اللهِ وَوَلِيُّهُ وَاَخُو الرَّسُولِ وَوَصِيُّهُ وَوارِثُهُ..**"

فقد برز في تركيب هذه الأفعال التلفظية كل من الفعل المضارع (أُقسِمُ) المقرون بكل من المفعول المطلق لبيان نوع الفعل، التوكيد بـ (أنّ) والتكرار لها، ففي قوله (عليه السلام): " أشهد شهادة حقّ، وأقسم بالله قسم صدق" فعل تقريري إعلانيّ من حيث صيغة الشهادة والقسم؛ ففي الفعل (أقسم) فعل إعلاني مخصوص بخصوصية الناطق به؛ ما يمنحه المشروعية في صدقه وقوته، وتأثيره في تقوية صدق قسم الإمام الذي ابتدأه بالشهادة لجده محمّد (صلوات الله عليه وآله) بأنهم سادات الخلق، ثم عطف بالقسم على أمير المؤمنين (عليه السلام) بأنّه مولاه ومولى الذين يفترض أنهم موحدين لله (عز وجل)! ثم عطف بالقسم مرة أخرى على أنّ المزور المخصوص بهذه الزيارة (أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)(عليه السلام)، أنه عبد الله وأخو الرسول ووصيه ووارثه، وهو مما يدخل فيما ناقشه النحاة القدامى في كثير من المعاني المتعلقة بإنجازية الأساليب المختلفة بخلفية تداولية ، فتطرقوا إلى كثير من الأفعال الكلامية مثل: التأكيد وفعل الإغراء وفعل التحذير، وفعل النداء، وفعل الاستغاثة والندبة وغير ذلك فهي بلغة المعاصرين أفعال كلامية يراد بها الحرص على تضمين الرسالة فائدة تواصلية معبنة [٥٣]. كما هي الرسالة التي أراد بها الإمام من خلال أقوال الشهادة بشكل صريح؛ وهو ما حمله المضمون التداولي لفعل القسم المسبوق بالشهادة المؤكدة بكلمتي (حقّ)، و(صدق)...

٢. أمّا القوّة الإنجازية فجاءت بمستوى عالٍ يتساوق مع مستوى الشهادة والقسم من شخصية دينية مثل شخصية الإمام الهادي (عليه السلام) وفي سياق مناسبة دينية كهذه؛ ما جعل فعل الشهادة والقسم يضفي على الخطاب طابعًا رسميًا وحجاجيًا قويًا، كما أنه يضفي التزامًا أخلاقيًا ودينيًا على ما سيأتي من مضامين وردت بعد فعل القسم، مثل عبارة " اَنَّ مُحَمَّداً وَآلَهُ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِمْ ساداتُ الْخَلْقِ، وَاَنَّكَ مَوْلايَ وَمَوْلَى الْمُؤْمِنينَ، وَاَنَّكَ عَبْدُ اللهِ وَوَلِيُّهُ وَاَخُوالرَّسُولِ وَوَصِيُّهُ وَوارِثُهُ"، التي عبرت عن حقيقة عقائدية تعتبر مسلمة عند المتكلم، وتُعرض كحق لا يقبل النقاش؛ ومن ثمّ فإنّ قوة إنجازية عالية تطغى على النص؛ لأنه يُقدَّم في سياق ديني مقدس مؤطّر بالقسم والشهادة، ممّا يعزّز من حجيته.

وأمّا في قوله (عليه السلام): " وَاَنَّكَ مَوْلايَ وَمَوْلَى الْمُؤْمِنينَ، وَاَنَّكَ عَبْدُ اللهِ وَوَلِيُّهُ وَاَخُو الرَّسُولِ وَوَصِيُّهُ وَوارِثُهُ.." فيبرز قوة الفعل الإعلانية لكونه إثباتا لمقام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهذه الأفعال بمجملها تتعلّق بتوصيف مقامات الإمام (الولاية، الوراثة، النصّ)، وقد سيقت بأسلوب تقريري لتثبيت مكانته العقائدية.

ثانيا: القسم الصادر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) على لسان الإمام الهادي (عليه السلام) وهو قوله: "**وَاَنَّهُ الْقائِلُ لَكَ: وَالذّي بَعَثَني بِالْحَقِّ ما آمَنَ بي مَنْ كَفَرَ بِكَ، وَلا اَقَرَّ بِاللهِ مَنْ جَحَدَكَ، وَقَدْ ضَلَّ مَنْ صَدَّ عَنْكَ وَلَمْ يَهْتَدِ اِلَى اللهِ، وَلا اِلَيَّ مَنْ لا يَهْتَدي بِكَ، وَهُوَ قَوْلُ رَبّي عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاِنّي لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اَهْتَدى﴾ اِلى وِلايَتِكَ**" فهنا ينتقل خطاب الإمام الهادي (عليه السلام) إلى الشهادة بطريقة جديدة على طبيعة خطابه السابق؛ إذ يعقب شهادته الشخصية لأمير المؤمنين (عليه السلام) بأنّه عبد الله ووليه وأخو الرسول ووصيه ووارثه، بشهادة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حقّ أمير المؤمنين (عليه السلام) مشيرًا بالضمير العائد على الرسول بقوله: " وَاَنَّهُ الْقائِلُ لَكَ: **وَالذّي بَعَثَني بِالْحَقِّ** ما آمَنَ بي مَنْ كَفَرَ بِكَ، وَلا اَقَرَّ بِاللهِ مَنْ جَحَدَكَ، وَقَدْ ضَلَّ مَنْ صَدَّ عَنْكَ وَلَمْ يَهْتَدِ اِلَى اللهِ، وَلا اِلَيَّ مَنْ لا يَهْتَدي بِكَ، وَهُوَ قَوْلُ رَبّي عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاِنّي لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اَهْتَدى﴾ اِلى وِلايَتِكَ.." فالإمام الهادي يؤكد عن لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالشهادة لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وبحسب المنهج التداولي يمكننا توصيف مكوّنات النص لغويا وسياقيا بأنّ الفاعل الأصلي في هذه الفقرة من الزيارة هو النبي (صلى الله عليه وآله)، والمخاطب هو المزور (الإمام علي) (عليه السلام)، وأما المتكلم نقلًا عن لسان الرسول فهو الإمام الهادي (صلوات الله عليهما وآلهما)، إذ نلاحظ تعدد الخطابات والمتكلمين والمخاطبين وتعاقب أدوارهم في الخطاب، وكأنّ الخطاب تجدّد وحضر مرة أخرى على أنّ المخاطب نفسه وجه إليه الخطاب في مقام جديد تكريمًا، وتعظيمًا لمقامه في أثناء الزيارة.

ويمكن تحليل هذا القسم، وما يتبعه من أفعال كلامية بحسب تصنيف أوستين وتقسيمه لمستويات الأفعال الكلامية على النحو الآتي:

أولا: الفعل التلفّظي: وبحسبه يمكن وصف الأفعال الكلامية التي وردت في قسم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حق أمير المؤمنين: "والذي بعثني بالحق نبيا ما آمَنَ بي مَنْ كَفَرَ بِكَ، وَلا اَقَرَّ بِاللهِ مَنْ جَحَدَكَ، وَقَدْ ضَلَّ مَنْ صَدَّ عَنْكَ وَلَمْ يَهْتَدِ اِلَى اللهِ.." بأنه فعل قسم استعمل لتوكيد صدق قول النبي في (أمير المؤمنين (صلوات الله عليهما وآلهما) بوصفها جملا تقريرية حملت مضمونًا عقائديًّا خلاصته أن (الإيمان بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) لا يصحّ من دون الإيمان بالإمام) وهو ما أدته وظيفة الشرط المتضمن في تركيب القسم نحويا ودلاليا.

ثانيا: الفعل الإنجازيّ: ويتمثل في إنجاز فعل الحكم العقائدي من خلال الربط بين الإيمان بالنبي والإمام (صلوات الله عليهما، وآلهما) وبيان ضلال من أنكر ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام).

ثالثا: الفعل التأثيري: ويتمثّل في الأثر الذي يتركه الفعل الكلاميّ المتمثّل بالقسم وما تبعه من أفعال كلامية مترتبة على هذا القسم، مثل:(الإنجازي للكلام في التأثير في نفس المخاطب لترسيخ عقيدة الولاية بوصفها شرط للإيمان، وتذكيره بها ودفعه للاعتراف بها.

كما يمكن تحليل هذا النوع من القسم تداوليًّا على وفق (سيرل) في تقسيمه للأفعال الكلامية الخمسة وما تبعه من أفعال كلامية تعزّز مضامين متعددة مثل:(كفر من لم يؤمن به)، (نفي الإقرار بالله عمّن جحده)، (وضلالة من صدّ عنه)، و(ضلالة من لم يهتدِ به لله ورسوله) بالنّحو الآتي:

الفعل الكلامي	النص	الوصف التداولي
١ـ التمثيلي	" وَالذي بَعَثني بِالْحَقِّ ما آمَنَ بي مَنْ كَفَرَ بِكَ، وَلا اَقَرَّ بِاللهِ مَنْ جَحَدَكَ"	فيه تقرير أو وصف لحالة واقعية واعتقادية
٢ـ التوجيهي	لا وجود لتوجيه مباشر ولكن ضمنا فيه دعوة للاعتراف بـ (ولاية الإمام)	فيه دفع للمتلقي الى فعل معين
٣ـ التعبيري	يمكن فهمه ضمنا كتعبير عن الموقف العقائدي	تعبير عن موقف أو مشاعر
٤ـ الإلتزامي	غير وارد بشكل صريح بل ضمني	التزام المتكلم بفعل مستقبلي
٥ـ الإعلاني وهو (الأهم)	" وَهُوَ قَوْلُ رَبّي عَزَّوَجَلَّ: (وَاِنّي لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اَهْتَدى) اِلى وِلايَتِكَ.." طه:٨٢	يمكن وصفها بأنها أفعال تغير حالة واقعية بمجرد التلفظ بها

وهنا ينماز النصّ بأنه قد جمع بين تقرير ضلال من خالف، وتوجيه ضمني باتباع الولاية، ما يجعله محمّلاً بفعالية توجيهية؛ أنتجتها قدرة الإمام الهادي (عليه السلام) في إدارة الخطاب في زيارته موردا هذه النصوص التي تمثّل أدلّة نقلية متواترة عن الله عزّ وجلّ في كتابه وعن رسوله ووليّه (صلوات الله عليهما).

فإيراد قولين أحدهما منسوب للنبيّ، والآخر منسوب لأمير المؤمنين (صلوات الله عليهما وآلهما) يعبر عن مبدأ عقائدي يربط الإيمان بالنبي بالإيمان بالإمام، ومن ثمّ يمثّل تقوية للموقف العقدي الذي اختلف القوم فيه سابق ولاحقا وهو أحقية أمير المؤمنين في الولاية، والإمامة!.

ثالثا: القسم الثالث الوارد في نصّ الزيارة عن لسان أمير المؤمنين (عليه السلام) نفسه يورده الإمام الهادي (عليه السلام) في زيارته الذي قال فيه:" **فَوَ اللهِ ما كَذِبْتُ وَلا كُذِبْتُ، وَلا ضَلَلْتُ وَلا ضُلَّ بي، وَلا نَسيتُ ما عَهِدَ اِلَيَّ رَبّي، وَاِنّي لَعَلى بَيِّنَة مِنْ رَبّي بَيَّنَها لِنَبِيِّهِ، وَبَيَّنَهَا النَّبِيُّ لي وَاِنّي لَعَلَى الطَّريقِ الْواضِحِ، اَلْفِظُهُ لَفْظاً، صَدَقْتَ وَاللهِ وَقُلْتَ الْحَقَّ..**"[٥٤].

نجد قسما يستشهد به الإمام الهادي (عليه السلام) في زيارته عن لسان المخصوص بالزيارة الغديرية بأقسام متعددة ومتجاورة نقلا عن لسان جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام)، ففعل القسم هنا يهيمن على النص ولكن بشكل معكوس هذه المرة ؛ فبعد أن مارس النص دورا تداوليا واضحا وقويا من قبل الزائر (الإمام الهادي) عليه السلام، تنتقل قوة الفعل الإنجازية والتأثيرية والإعلانية إلى المزور نفسه (أمير المؤمنين) (عليه السلام)، الذي يتمثل الامام الهادي بكلامه؛ ما شكل بدوره فعلا تداوليا شديد القوة والتأثير؛ يمكن قراءته بوصفه فعلا تقريريا يؤكد صدق وهداية أمير المؤمنين (عليه السلام)، وله وظيفة تمارس فعل التثبيت لعقيدة المتلقي ويقينه بهذه الشخصية المزورة، وما يقوي قوة الفعل الإنجازية هنا؛ أنه اشتغل تداوليا في سياق ديني مخصوص في مناسبة دينية مخصوصة؛ حملت أبعادا تداولية كثيرة على المستوى العقائدي والتاريخي والاجتماعي والحجاجي، وتكاد تتوافر فيه معظم تصنيفات أوستين وسيرل للأفعال الكلامية التقريرية، والتوجيهية، والتعبيرية، والالتزامية، والإعلانية، يمكن أن تخرج بخلاصة تداولية مفادها:

١. ترسيخ الحقيقة العقائدية الواقعية في أنّ ولاية عليّ تعدّ شرطًا في الإيمان [٥٥].

٢. إعلان ضمني بأن من جحد الولاية فقد جحد الإيمان[٥٦] .

٣. تثبيت مسألة الولاية وإقناع المتلقي بربطها المباشر بالإيمان بالله ورسوله (صلى الله عليه وآله؛ كون القوة الإنجازية لهذه الأفعال الكلامية بمجملها مدعومة بعناصر ثلاث هي:(سند قولي مؤكد ومتواتر للنبي (صلوات الله عليه وآله)، وإحالة إلى قول الله عز وجلّ، وفي سياق مناسبة يوم الغدير التي تشكل محورا عقائديا مهما.

رابعا/ القوّة الإنجازية في فعل(اللعن):

يشكّل فعل "اللّعن" مكوّنًا لغويًا وعقائديًا بارزًا في النصوص الواردة في بعض الزيارات، ولا سيما في زيارتي عاشوراء، وزيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) المخصوصة في يوم الغدير، الواردة عن الإمام الهادي (عليه السلام)، ويكتسب هذا الفعل بعدًا تداوليًا يعكس مستويات متعددة من الوظائف الكلامية كالتعبير، والإعلان، والتوجيه، والدعاء، ممّا يجعله جديرًا بالتحليل وفق نظرية الأفعال الكلامية التي وضعها جون أوستن وطوّرها جون سيرل.

ولقد ورد فعل (اللعن) في الزيارة المخصوصة لأمير المؤمنين (عليه السلام) مرّات متعدّدة وصورها على النحو الآتي:

- "اَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظّالِمينَ.."
- "فَلَعَنَ اللهُ جاحِدَ وِلايَتِكَ بَعْدَ الْإِقْرارِ، وَناكِثَ عَهْدِكَ بَعْدَ الْميثاقِ.."
- "فَلَعَنَ اللهُ مُسْتَحِلِّي الْحُرْمَةِ مِنْكَ وَذائِدِي الْحَقِّ عَنْكَ، وَاَشْهَدُ اَنَّهُمُ الْاَخْسَرُونَ الذَّينَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النّارُ وَهُمْ فيها كالِحُونَ.."
- "فَلَعَنَ اللهُ مَنْ ساواكَ بِمَنْ ناواكَ، وَاللهُ جَلَّ اسْمُهُ يَقُولُ: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذينَ لا يَعْلَمُونَ﴾.."
- "فَلَعَنَ اللهُ مَنْ عَدَلَ بِكَ مَنْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ وِلايَتَكَ وَاَنْتَ وَلِيُّ اللهِ وَاَخُو رَسُولِهِ، وَالذّابُّ عَنْ دينِهِ، وَالَّذي نَطَقَ الْقُرْآنُ بِتَفْضيلِهِ.."
- "فَالْعَنْ مَنْ عارَضَهُ وَاسْتَكْبَرَ وَكَذَّبَ بِهِ وَكَفَرَ، وَسَيَعْلَمُ الَّذينَ ظَلَمُوا اَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ.."
- "فَعَلَى اَبِي الْعادِيَةِ لَعْنَةُ اللهِ وَلَعْنَةُ مَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ اَجْمَعينَ، وَعَلى مَنْ سَلَّ سَيْفَهُ عَلَيْكَ وَسَلَلْتَ سَيْفَكَ عَلَيْهِ يا اَميرَ الْمُؤْمِنينَ مِنَ الْمُشْرِكينَ وَالْمُنافِقينَ اِلى يَوْمِ الدّينِ.."
- "اَللّهُمَّ الْعَنْ قَتَلَةَ اَنْبِيائِكَ وَاَوْصِياءِ اَنْبِيائِكَ بِجَميعِ لَعَناتِكَ، وَاَصْلِهِمْ حَرَّ نارِكَ.."
- "وَالْعَنْ مَنْ غَصَبَ وَلِيَّكَ حَقَّهُ، وَاَنْكَرَ عَهْدَهُ، وَجَحَدَهُ بَعْدَ الْيَقينِ وَالْإِقْرارِ بِالْوِلايَةِ لَهُ.. يَوْمَ اَكْمَلْتَ لَهُ الدّينَ، اَللّهُمَّ الْعَنْ قَتَلَةَ اَميرِ الْمُؤْمِنينَ وَمَنْ ظَلَمَهُ وَاَشْياعَهُمْ وَاَنْصارَهُم.. * اَللّهُمَّ الْعَنْ ظالِمي الْحُسَيْنِ وَقاتِليهِ، وَالْمُتابِعينَ عَدُوَّهُ، وَناصِريهِ، وَالرّاضينَ بِقَتْلِهِ وَخاذِليهِ لَعْناً وَبيلاً.."
- "اَللّهُمَّ خُصَّ اَوَّلَ ظالِمٍ وَغاصِبٍ لآلِ مُحَمَّدٍ بِاللَّعْنِ، وَكُلَّ مُسْتَنٍ بِما سَنَّ اِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ"
- "اَللّهُمَّ الْعَنْ قَتَلَةَ اَميرِ الْمُؤْمِنينَ وَمَنْ ظَلَمَهُ وَاَشْياعَهُمْ وَاَنْصارَهُم.."
- "اَللّهُمَّ خُصَّ اَوَّلَ ظالِمٍ وَغاصِبٍ لآلِ مُحَمَّدٍ بِاللَّعْنِ، وَكُلَّ مُسْتَنٍ بِما سَنَّ اِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ".

وفي هذه الأفعال الكلامية نلاحظ تباين صورة فعل (اللعن) بين ثلاثة صيغ مختلفة هي:

١. صيغة اسم مصدر "ألا لعنة".

٢. صيغة الفعل الماضي (لعنَ الله).

٣. صيغة الدعاء بلفظة (اللهم العن).

٤. (اللهم خُصّ...باللعن).

والذي يبدو أنّ فعل "اللّعن" يقع غالبًا في ضمن الأفعال التعبيرية، وقد يتداخل مع التوجيهية أو الإعلانية عند اقترانه بالطّلَب من الله (عزّ وجلّ)، أو إصدار حكم ديني، ولاختبار القوى الإنجازية التي يحدثها وسنحاول استهدافها بالتحليل بحسب تصنيف أوستين وتقسيمه للأفعال الثلاث مجتمعة في التحليل كما يأتي:

١. فيما يتعلق بصورة الفعل التلفظية فقد ورد عنه (عليه السلام) قوله في الزيارة في أوّل فعل (لعن) ورد فيها: " ألا لعنة الله على الظالمين" فبحسب الفعل اللفظي (القولي)، نلاحظ وجود "ألا" الاستفتاحية التي تشير القوّة في دلالات متعددة بحسب السياق الذي وردت فيه، منها التنبيه والإشارة والتوكيد..[٥٧] فقد وردت في معرض سلام الإمام الهادي على (المزور) (عليهما السلام) معدّدًا بعض فضائل جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام) في قوله: "اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا النَّبَأُ الْعَظيمُ الَّذي هُمْ فيهِ مُخْتَلِفُونَ وَعَنْهُ يَسْأَلُونَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا اَميرَ الْمُؤْمِنينَ، آمَنْتَ بِاللهِ وَهُمْ مُشْرِكُونَ، وَصَدَّقْتَ بِالْحَقِّ وَهُمْ مُكَذِّبُونَ، وَجاهَدْتَ وَهُمْ مُحْجِمُونَ، وَعَبَدْتَ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدّينَ صابِراً مُحْتَسِباً حَتّى أَتاكَ الْيَقينُ، اَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظّالِمينَ، ففجأة وهو يؤدي السلام يورد فعل اللعنة بـ " الا" يتبعها اسم المصدر من الفعل (لعن) وهو لفظ الـ "لعنة" التي يدعو بها على فئة " الظالمين" مطلقا دونما تحديد لجهة معينة، فهذا القول الفعلي بحسب التصنيف الأوّل يعبّر عن تصريح صريح بلعن هذه الفئة المحددة وهم " الظالمين" فبحسب فعل القوة الإنجازي التي يمنحها الفعل القولي الصريح المتمثل بتوجيه الدعاء لله باللعنة على الظالمين؛ فهو تعبير وإعلان يعبر عن موقف نفسي وديني تجاه الظالمين، ويمكن أن نقول إنّ فيه (إعلانًا مضمرًا) لحكم ديني بـ (عدم قبول هذه الفئة والبراءة منها).

٢. أمّا فعل التأثير لصورة اللعن هذه، فلعل فيه تحريضًا للمتلقي على اتخاذ (موقف رفض) للظلم والظالمين والبراءة منهم.

ولو قرأنا صيغة فعل القول في الصورة الثانية من صور اللعن اللفظية من قبيل قوله (عليه السلام) مخاطبًا أمير المؤمنين (عليه السلام):" لعن الله جاحد ولايتك بعد الإقرار"، و" فَلَعَنَ اللهُ مُسْتَحِلِّي الْحُرْمَةِ مِنْكَ وَذائِدِي الْحَقِّ عَنْكَ" و" فَلَعَنَ اللهُ مَنْ ساواكَ بِمَنْ ناواكَ"، " فَلَعَنَ اللهُ مَنْ عَدَلَ بِكَ مَنْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ وِلايَتَكَ

وَاَنْتَ وَلِيُّ اللهِ وَاَخُو رَسُولِهِ، وَالذّابُّ عَنْ دينِهِ"، " فَالْعَنْ مَنْ عارَضَهُ وَاسْتَكْبَرَ وَكَذَّبَ بِهِ وَكَفَرَ، وَسَيَعْلَمُ الَّذينَ ظَلَمُوا اَيَّ مُنْقَلَب يَنْقَلِبُونَ"، وأقوال لعنٍ أخرى ذكرناها آنفا يطول ذكرها، إلا أننا سنقوم بتحليلها بشكل عامّ في سياق الصيغة الموحدة التي وردت بها وهي " لعن الله" فنلاحظ أنها صيغة طلبية (دعاء) يطلب بها الإمام توجيه اللعن لكل الذين عبّر عنهم الإمام بـ (مَن) لحقت بهم أفعال: (الظلم، والجحود، واستحلال الحرمة، والمساواة بمن ناوى، والعدول، المعارضة والاستكبار، ..) بحقّ أمير المؤمنين (عليه السلام) على مرّ التاريخ.

ومن ناحية الفعل الإنجازيّ فإنّ كلّ ما تقدم يعدّ (تعبيرا) و(أعلانا) عن إدانة وإنكار لجاحدي الولاية بعد الإقرار بها؛ بل وقد يتعداه إلى (إعلان ديني) يشبه فعل (الإقصاء)، ومن ناحية الأثر التداوليّ (الفعل التأثيري)؛ فإنّه بالإجمال ينتج شعورا بالرهبة لدى المتلقي (السامع) من جراء نكث الولاية لأمير المؤمنين (عليه السلام).

أمّا الصيغة الثالثة من صيغ اللعن التي وردت في الزيارة وهي: " اَللّهُمَّ الْعَنْ قَتَلَةَ اَنْبِيائِكَ وَاَوْصِياءِ اَنْبِيائِكَ بِجَميعِ لَعَناتِكَ.." فمن ناحية الفعل القوليّ (التلفظي)، نجد فيها أقصى درجات (الإنكار) بما تثيره البنية التركيبية للجملة المتكونة من (اللهم) والفعل الطلبي (العن)، وما لحقها من توكيد مبالغ فيه بقوله (عليه السلام) " اللهم العن بجميع لعناتك" قتلة أنبيائك وأولياء أنبيائك.. أمّا الفعل الإنجازي ففيه (توجيه) دعائي صريح يطلب فيه من الله (عز وجل) إنزال جميع لعناته، وهذا تعبير يؤدّي إلى أقصى درجات الاستنكار وربط اللعن بالعقاب، طلبا للعدالة الإلهية ضدّ خصوم الرسالة الإلهية.

أما الصيغة الرابعة من صيغ اللعن وهي " اَللّهُمَّ خُصَّ اَوَّلَ ظالِمٍ وَغاصِبٍ لآلِ مُحَمَّد بِاللَّعْنِ، وَكُلَّ مُسْتَن بِما سَنَّ اِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ" فبحسب تصنيف أوستين للأفعال فإن **الفعل اللفظيّ أو القوليّ** يتضمن تركيبا مكوّنًا من الفعل الطلبي الدال على الدعاء(اللهم)، (خصّ)، واسم "اللعن" الذي يعبر عن الطرد عن رحمة الله تعالى [٥٨]، و(كل) مستنّ بما سنّ، أي كلّ من يقتدي به في ظلمه ومخالفته.

أمّا الفعل الإنجازي فيتضمن إخبارًا بمصير من ظلم ومن يسير على نهجه، وتقريرا لأمر عقائدي يتعلّق بعقوبة الظالم الأوّل، وآثاره.

وأمّا الفعل التأثيري فمثل هذا الشكل من اللعن ينتج إشعارًا للسامع بعدالة السماء في معاقبة الظالمين وبثّ مشاعر الغضب والنقمة على الظالم الأوّل ومن تبعه، وترسيخ اللعن كأثر إلهي دائم على من ظلم آل محمد الإخبار بأن الله (عزّ وجلّ) قد خصّ أوّل ظالم لآل محمد باللعن، وأن من يسير على طريقه سينال الحكم نفسه إلى يوم القيامة، ويُلاحظ أن فعل اللعن في هذه الزيارة لا يؤدّي وظيفة واحدة؛ بل يتوزع بين

التعبير عن الموقف العقائدي والوجداني، وإصدار حكم ديني، والدعاء بطلب الانتقام الإلهي، بل وحتى التوجيه والطلب من الله أو من المتلقي بالمشاركة في هذا الفعل، بذلك يندرج فعل "اللّعن" في النص تحت طيف واسع من الأفعال الإنجازية.

ولو أمعنا النظر في تحليل كلّ عبارة لعن في هذه الزيارة بما يحيطها من خصوصية في تركيبها النحوي والبلاغي لخرجنا بتحليل تداوليّ أوسع دائرة من هذا التحليل لكننا سنستعين بجدول نحدد فيه مكان فعل اللعن الوارد بأشكاله وصيغه التي حددناها على وفق تصنيف سيرل للأفعال الكلامية للاستعانة به على تحديد نوع الفعل الوارد وأثره التداولي كما سيأتي:

صيغة فعل اللعن	نوع الفعل بحسب سيرل	الوصف التداولي
١ـ اَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظّالِمينَ	تعبيري وإعلاني	إعلان الرفض الأخلاقي الذي يشبه الحكم الشرعي بصفة الإمام الهادي نفسه إمام زمانه آنذاك.
٢ـ فَلَعَنَ اللهُ جاحِدَ وِلايَتِكَ بَعْدَ الْإِقْرارِ، وَناكِثَ عَهْدِكَ بَعْدَ الْميثاقِ	تعبيري، وإعلاني	يؤدي أثرا في التأكيد على ضرورة الالتزام بالولاية
٣ـ فَلَعَنَ اللهُ مُسْتَحِلَّي الْحُرْمَةِ مِنْكَ وَذائِدِي الْحَقِّ عَنْكَ	تعبيري	يعبر عن الغضب من انتهاك الحرمة لآل محمد (ص)
٤ـ فَلَعَنَ اللهُ مَنْ ساواكَ بِمَنْ ناواكَ"	تعبيري، توجيهي	يؤدي بيانا للعقيدة الثابتة
٥ـ فَلَعَنَ اللهُ مَنْ عَدَلَ بِكَ مَنْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ وِلايَتَكَ وَاَنْتَ وَلِيُّ اللهِ وَاَخُورَسُولِهِ	تعبيري، وإعلاني	فيه تنديد بالإنحراف عن الولاية لأمير المؤمنين (ع)
٦ـ فَالْعَنْ مَنْ عارَضَهُ وَاسْتَكْبَرَ وَكَذَّبَ بِهِ وَكَفَرَ، وَسَيَعْلَمُ الَّذينَ ظَلَمُوا اَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ	توجيهي دعائي	دعاء بطلب البراءة ممن عارضه واستكبر وكذب به وكفر
٧ـ اَللّـهُمَّ الْعَنْ قَتَلَةَ اَميرِ الْمُؤْمِنينَ وَمَنْ ظَلَمَهُ وَاَشْياعَهُمْ وَاَنْصارَهُم، اَللّـهُمَّ الْعَنْ ظالِمي الْحُسَيْنِ وَقاتِلِيهِ، وَالْمُتابِعينَ عَدُوَّهُ، وَناصِريهِ، وَالرّاضينَ بِقَتْلِهِ وَخاذِليهِ لَعْناً وَبيلاً،	تعبيري	تعبر عن سخط الامام الهادي بوصفه (زائرا) وغضبه تجاه الظالمين
	إخباري (ضمني) وإعلاني	بأن هؤلاء الذين دعا عليهم باللعن يستحقون اللعن
٨ـ اَللّـهُمَّ الْعَنْ اَوَّلَ ظالِمٍ ظَلَمَ آلَ مُحَمَّد وَمانِعيهِمْ	توجيهي	فيه طلب الى الله بتوجيه اللعن الى

حُقُوقَهُمْ، اَللَّـهُمَّ خُصَّ اَوَّلَ ظالِمٍ وَغاصِبٍ لِاٰلِ مُحَمَّد بِاللَّعْنِ، وَكُلَّ مُسْتَنٍ بِما سَنَّ اِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ		الظالمين
	تقريري وتوجيهي	تقريري كونه تعبير عن ظلم تاريخي وتوجيهي فيه طلب باستمرارية العقوبة باللعن

الخاتمة:

جاء هذا البحث ليكشف عن البنية الانجازية المتماسكة في الزيارة المخصوصة لأمير المؤمنين (عليه السلام) في يوم الغدير الواردة عن الإمام الهادي (عليه السلام) من خلال تحليل تداولي لأفعال الكلام التي تضمنها النص تحليلا تداوليا مستندا الى نظرية الأفعال الكلامية كما صاغها أوستين وسيرل.

وقد أبرز التحليل كيف أنّ أفعال "السلام" و"الشهادة"، والقسم، واللعن بصورها التي أوضحتها في البحث، لم تكن مجرد تعبيرات لغوية وحسب؛ بل هي إنجازات كلامية تؤدي وظائف معرفية وعقدية وشعائرية على مستويات متعددة.

فأفعال الشهادة مثلا أدت وظيفة الإقرار العقائدي وتأكيد الانتماء للمحور الإيماني الذي يمثله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وكانت شاهدة على تجدد البيعة والولاء في كل عصر أو زمن، وهي أفعال القول التي تنجز بالفعل لا بالوصف.

أما أفعال "القسم" فقد جاءت لتضفي طابعا من الالتزام القاطع والمشروط، بما يعزز القوة الحجاجية للزيارة بوصفها وثيقة ولائية وعقائدية، في حين أن أفعال "اللعن" كشفت عمّا يمكن أن نعبر عنه بـ (الفعل التقويمي) الحاسم الذي يفصل بين الحق والباطل، ويعبر عن الموقف الأخلاقي والعقائدي تجاه أعداء الأمة.

كما تميز النص بكثرة أفعال "السلام" بصور مختلفة لم يسعنا الاستغراق بتحليلها بشكل أوسع ؛ نظرا لسعة المضامين التداولية فيها ..، فهذه الأفعال بدت للوهلة الأولى ذات طابع عادي يتعلق بـ (السلام) بوصفه تحية، لكنه في ضوء التحليل التداولي عُدّ أفعالا إنجازية ذات طابع تواصلي واعترافي، حملت في طياتها فعل " الإقرار" بعلو مقام المخاطب (أمير المؤمنين (عليه السلام) ، كما أنها أسهمت في بناء العلاقة بين الزائر والمزور عبر خطاب يحفزه التوقير والتقديس، وقد تكررت أفعال السلام في الزيارة بوصفها مفتاحا تمهيديا ومدخلا لتفعيل سائر الأفعال الإنجازية، ولا سيما في سياق إحياء واقعة الغدير وتجديد العهد مع الإمام المعصوم.

وعليه فإن هذه الزيارة تعد خطابا تداوليا عالي المضامين، يستثمر تنوع الأفعال الكلامية في أداء وظائف متعددة تبدأ بالإقرار العقدي، وتمر بالتقويم الأخلاقي، وتنتهي بالتحصين الشعائري المتعلق بالهوية الإسلامية؛ ما يجعل منها نصا مركزيا في الفضاء العاشورائي والولائي على حدّ سواء.

ومن الله التوفيق ....

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة .

٢. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، مصر ٢٠٠٢.

٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٤. بصائر الدرجات، أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار ت (٢٩٠هـ)، منشورات شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٥. البعد التداولي عند الأصوليين، يوسف سليمان عليان، مكة المكرمة، جامعة ام القرى، ط١.

٦. بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢.

٧. البيان والتبيين، الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الجاحظ، مصر ، ط٤، الكتاب الثاني، ١٩٧٥.

تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد علي الحسيني الاسترباذي النجفي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ١٩٨٩م.

٨. التداولية البعد الثالث في سيموطيقيا موريس، من اللسانيات الى النقد الأدبي والبلاغة، د. عيد بلبع، ٢٠٢١، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، .

٩. التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، تر: صابر الحباشة، ٢٠٠٧، دار الحوار للنشى والتوزيع، سوريا اللاذقية.

١٠. التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة ، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

١١. التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبوك وجاك موشلار، تر: د. سيف الدين دغفوس، ود. محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة .

١٢. تفسير الطبري، المسمى جامع البيان في تفسير القرآن أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠١م.

١٣. دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي وسعد البازعي، ط٤، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٥.

١٤. السياق والنص الشعري، من البنية إلى القراءة، علي آيت أوشان، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٠.

١٥. العرى العاصمة في تفضيل الزهراء فاطمة، الشيخ محمد رضا الغراوي، دراسة وتحقيق، د. عليّ الأعرجيّ، دار الكوثر للطباعة والنشر، قم المقدسة.

١٦. الفعل بالكلمات، جون لانغشو أوستن، حققه جايمس أوبي أورمسن، ومارينا سبيسا، وترجمه طلال وهبة، مكتبة ٥٥٩، هيئة البحرين للثقافة والآثار.

١٧. الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، لبنان ١٩٩٨. ١٩٩٩، نظرية الأفعال الكلامية، طالب هاشم طباطبائي.

١٨. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، منشورات الفجر، ٢٠٠٧م.

١٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ)، دار الصادق، بيروت، ط٣، ١٤١٤.

٢١. اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، مصطفى غلفان، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٨.

٢٢. مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي (٦٢٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان (د.ت).

٢٣. المقاربة التداولية، . فرانسواز أرمينكو، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، ١٤٣١ هـ.

٢٤. المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة، مكتبة الآداب ، القاهرة، طبعة الآداب.

٢٥. مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،١٩٩٢.

٢٦. مناقب آل أبي طالب، أبو جعفر رشيد الدين محمد بن شهر آشوب المازندراني (٥٨٨)، مؤسسة انتشارات علّامة، قم المقدسة.

٢٧. نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون لانكشو أوستين، تر: عبد القادر قينيني، مطبوعات أفريقيا الشرق.

٢٨. نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطباطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤.

٢٩. نظرية القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها، د. حسن مصطفى سحلول، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، ٢٠٠١.

المجلات والدوريات:

. آليات التداولية في تحليل الخطاب (الخطاب الأدبي أنموذجا)، عبد القادر عواد، مجلة البيان.

. (ألا) الاستفتاحية، دراسة نحوية، مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، المادة ٣١، مج: ٣٨، ع: ٢، ديسمبر ٢٠٢٣.

. أفعال الكلام في قصة كليم الرحمن موسى عليه السلام، ابتسام بن خراف، مجلة كلية الاداب واللغات، العدد ١٢ جامعة محمد خيضر . بسكرة.

. البعد التداولي عند الأصوليين، ابن قيم الجوزية في كتابه " بدائع الفوائد" انموذجا، د. يوسف سليمان عليان، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، ٥٣ع: ، رمضان ١٤٣٢.

. التداولية وتحليل الخطاب الأدبي، راضية خفيف، مجلة الموقف الأدبي، دمشق اتحاد الكتاب العرب، عدد ٣٩٩، تموز ٢٠٠٤.

. تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب باللغة العربية، عمر بلخير، مجلة الأثر، العدد ١٣/ مارس، ٢٠١٢،.

. المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، د. عبد الحليم بن عيسى، مجلة دراسات أدبية، عدد ١، ٢٠٠٨، الجزائر.

. نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين، يسمينة عبد السلام، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري . جامعة بسكرة، الجزائر، العدد العاشر. ٢٠١٤.

. نظرية أفعال الكلام عند أوستن، نصيرة غماري، مجلة اللغة والادب، جامعة الجزائر، ع ١٧، ٢٠٠٦.

. نظرية الحدث الكلامي من أوستين إلى سيرل، د. العيد جلولي، مجلة الأثر، العدد الخاص بأشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب.

1-Recanati, François. (1979). *Meaning and Force: The Pragmatics of Performative Utterances*. Cambridge University Press.

2- Austin, J. L. (1962). *Quand dire, c'est faire* (French translation of *How to Do Things with Words*), pp. 153–166.

الهوامش

[١] . التداولية وتحليل النصوص. ص، ٤٧٩.

[٢] . المصدر نفسه.

[٣] . المصدر نفسه.

[٤] . المقاربة التداولية، . فرانسواز أرمينكو، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، ص٩٥.

[٥] . المقاربة التداولية، . فرانسواز أرمينكو، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، ص٩٨.

[٦] . التداولية وتحليل الخطاب الأدبي، راضية خفيف، مجلة الموقف الأدبي، دمشق اتحاد الكتاب العرب ، عدد ٣٩٩، تموز ٢٠٠٤، ٥٦.

[٧] . التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر حباشة، سورية دار الحوار، ط١، ٢٠٠٧.

[٨] . ينظر: المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، د. عبد الحليم بن عيسى، مجلة دراسات أدبية، عدد ١، ٢٠٠٨، الجزائر، ص٩.

[٩] . ينظر: المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، د. عبد الحليم بن عيسى، مجلة دراسات أدبية، عدد ١، ٢٠٠٨، الجزائر،١٠.

[١٠] . ينظر: المصدر نفسه: ١٠.

[١١١١] . ينظر: التداولية، دراسة في المنهج ومحاولة في التصنيف، وائل حمروش، موقع الملتقى الألكتروني، تاريخ ١٢/ ١/ ١٤٣١ هـ، وينظر: البعد التداولي عند الأصوليين، ابن قيم الجوزية في كتابه " بدائع الفوائد" انموذجا، د. يوسف سليمان عليان، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، ع ٥٣، رمضان ١٤٣٢، ص ٤٧٦.

[١٢] . ينظر: البعد الثالث في سيموطيقيا موريس، د. عيد بلبع، ص٢، وينظر: التداوليات، عبد السلام اسماعيلي، ص١، منتديات واتا الحضارية تاريخ: ١٠/ ٢/ ١٤٣١ هـ، وينظر: التداولية ظهورها وتطورها، عادل الثامري، ص ١، موقع الجريدة الالكتروني، تاريخ: ١٠/ ٢/ ١٤٣١ هـ.

[١٣] . التداولية ومنزلتها في النقد الحديث والمعاصر، ص٢، بتاريخ: ٣/ ٤/ ١٤٣١ هـ.

[١٤] . الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، لبنان ١٩٩٨. ١٩٩٩، نظرية الأفعال الكلامية، طالب هاشم طباطبائي، ص ٦٦.

[١٥] . بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، ٢٤. ٢٥.

[١٦] . التداولية من أوستن إلى غوفمان ، ص١٩.

[١٧] . ينظر: تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب باللغة العربية، عمر بلخير ، مجلة الأثر، العدد ١٣/ مارس، ٢٠١٢، ص ٤٤.

[١٨] . ينظر: المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة، ص ١٦٥، وينظر: تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب باللغة العربية، عمر بلخير، مجلة الأثر، العدد ١٣، ١٠١٢، ص ٤٣.

[١٩] . ينظر: الفعل بالكلمات، جون لانغشو أوستن، حققه جايمس أوبي أورمسن، ومارينا سبيسا، وترجمه طلال وهبة، مكتبة ٥٥٩، هيئة البحرين للثقافة والآثار.

[٢٠] . ينظر: تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب باللغة العربية، عمر بلخير، مجلة الأثر، العدد ١٣، ١٠١٢، ص ٤٤.

[٢١] . ينظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص ١٦.

[٢٢] . ينظر: نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين، يسمينة عبد السلام، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري . جامعة بسكرة، الجزائر، العدد العاشر. ٢٠١٤. ص ١٠٢.

[٢٣] . ينظر: .... m – Bakhtin، نقلا عن نصيرة غماري، نظرية أفعال الكلام عند أوستن، مجلة اللغة والادب، جامعة الجزائر، ع ١٧، ٢٠٠٦، ص٨٠. وينظر: أفعال الكلام في قصة كليم الرحمن موسى عليه السلام، ابتسام بن خراف، مجلة كلية الاداب واللغات، العدد ١٢، ص ٣٤٤.

[٢٤] . التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي: ٤١ . ٤٢.

[٢٥] . التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبوك وجاك موشلار، ٢٩ . ٣٠.

[٢٦] . أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ٤٣.

[٢٧] . المصدر نفسه.

[٢٨] . التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبوك وجاك موشلار، ٣١.

[٢٩] . ينظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص١٣.

[٣٠] . f. RECANATI (1979) OP. CIT. P100.

[٣١] . J.L. AUSTIN: Quand dire c est faire, pp 153– 166.

[٣٢] . ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ١٢٢.

[٣٣] . ينظر: التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، تر: صابر الحباشة، ٢٠٠٧، دار الحوار للنشى والتوزيع، سوريا اللاذقية، ص٦٦ ، ٦٧.

[٣٤] . ينظر: تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب باللغة العربية، عمر بلخير، نوارة بوعياد، مجلة الأثر ، العدد ١٣/ ٢٠١٢، ص ٥٠

[٣٥] . ينظر: المصدر نفسه، ٥٥ . ٦٠، وينظر: مفتاح العلوم، السكاكي، ٧٠، دار الكتب العلمية (د.ت).

[٣٦] . بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢، ص٢٠

[٣٧] . ينظر: المصدر نفسه: ٢٠، وينظر: اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، مصطفى غلفان، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٨، ص ٢٤٦.

[٣٨] . نظرية القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها، د. حسن مصطفى سحلول، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، ٢٠٠١، ص ١١.

[٣٩] . ينظر: آليات التداولية في تحليل الخطاب (الخطاب الأدبي أنموذجا)، عبد القادر عواد، مجلة البيان، العدد ٤٩١، يونيو ٢٠١١، ص ٢٥.

[٤٠] . السياق والنص الشعري، من البنية إلى القراءة، علي آيت أوشان، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٠، ص: ٥٦ . ٥٧.

[٤١] . ينظر: دليل الناقد الأدبي، ميجانا لويلي وسعد البازعي، ط٤، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٥، ١٦٧.

[٤٢] . ينظر: ينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطباطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤، ص ٨، وينظر: مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٢، ص٢٣.

[٤٣] . ينظر: نظرية الحدث الكلامي من أوستين إلى سيرل، د. العيد جلولي، مجلة الأثر، العدد الخاص بأشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب، ٥٨، ٥٩ وما بعدها.

[٤٤] .ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، تر: صابر الحباشة، ٢٠٠٧، دار الحوار للنشى والتوزيع، سوريا اللاذقية، ص٦٦ ، ٦٧.

[٤٥] . ينظر: تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب باللغة العربية، مجلة الأثر، العدد ١٣/ ٢٠١٢، ٤٩، ٥٠.

[٤٦] . ينظر: الكافي، ١/ ١٦١، الكافي، ١/ ٣٤٦ ح٣٤، وبصائر الدرجات، ٨٨ ح ٣، وتأويل الآيات، ٢/ ٧٥٨ ح٣، ومناقب ابن شهر آشوب ٣/ ٨٠، والعرى العاصمة في تفضيل الزهراء فاطمة، الشيخ محمد رضا الغراوي، ص:؟،

[٤٧] . ينظر: تفسير الطبري، ٥٨٢،

[٤٨] . أقصد بالواقعي إمام الهادي عليه السلام والافتراضي كل متلق يتلقى النص زائرا أو قارئا أو محللا..

[٤٩] . البيان والتبيين، الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الجاحظ، مصر ، ط٤، الكتاب الثاني، ١٩٧٥، ١/ ٧٥.

[٥٠] . نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط١٩٩١، ص ١٦، ١٧.

[٥١] . ينظر: التداولية عند علماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة لبنان، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص٤٠.

[٥٢] . ينظر: أفعال الكلام في قصة كليم الرحمن (موسى عليه السلام)، ابتسام بن خراف ، مجلة كلية الآداب واللغات، ع: ١٢، جامعة محمد خيضر ـ بسكرة ـ ص ٨.

[٥٣] . ينظر: التداولية عند علماء العرب: ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

[٥٤] . المزار للمشهديّ: ٢٧٠.

[٥٥] . للاستزادة ينظر: بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٢٧/ ١٦٦.

[٥٦] . للاستزادة ينظر: المصدر نفسه ، ٨/ ٣٥٢.

[٥٧] . ينظر: (ألا) الاستفتاحية ، دراسة نحوية، مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، المادة ٣١، مج: ٣٨، ع: ٢، ديسمبر ٢٠٢٣، ص٢٤٠١.

[٥٨] . ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (لعن) ج/ ١٣، ص ٢٠٩.